كتاب تنزيه الانبيا والائمة لحسين بن موسى ١٢

عدد

عمر مفتي حاجي

جقجقلي زاده

اسالك سبيل الهدى من صمت فنجا

كونوا من الصادقين ولا تكونوا من الكاذبين الذين يفترون الكذب ولا يدرون في اي واد يهيمون ويهلكون والسلام على من اتبع الهدى

هشتاد هفت

كتاب تنزيه الانبيا والايمة عليهم السلم

تاليف السيد المرتضى علم الهدى ذي المجدين ابي القسم علي بن الطاهر ابي احمد الحسين بن موسى الموسوي قدس الله روحه ونور ضريحه امين امين امين

عبده [illegible] محمد علي

[illegible]

قد وقف هذه النسخة الجليلة السلطان الاعظم والخاقان المعظم مالك الرقاب والبحار [illegible] خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان السلطان [illegible] وقفا صحيحا [illegible] [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله كما هو اهله ومستحقه وصلى الله على خيرته من خلقه
وحجته في عباده محمد وآله الابرار الطاهرين الذين اذهب الله
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا سألت احسن الله توفيقك
املاء الكلام في تنزيه الانبياء والائمه عليهم السلام عن الذنوب
كلها والقبائح ما يسمى منها كبيرا او صغيرا والرد على من خالف
في ذلك على اختلافهم وضروب مذاهبهم وانا اجيب ما سألت
على ضيق الوقت وتشعب الفكر وابتدئ بذكر الخلاف في هذا
الباب ثم بالدلاله على المذهب الصحيح من جمله ما اذكره من المذاهب
ثم بتأويل ما يتعلق به المخالف من الآيات والاخبار التي اشتبه
عليه وجهها وظن انها تقتضي وقوع كبيره او صغيره من الانبيا
او الائمه عليهم السلم ومن الله استمد المعونه والتوفيق واياه
اسأل التأييد والتسديد اختلف الناس في الانبيا عليهم

السلم فقالت الشيعه الاماميه لا يجوز عليهم شي من المعاصي
والذنوب كبيرا كان او صغيرا لا قبل النبوه ولا بعدها ويقولو
في الائمه مثل ذلك وجوز اصحاب الحديث والحشويه على
الانبيا الكبائر قبل النبوه ومنهم من جوزها في حال النبوه
سوى الكذب فيما يتعلق باداء الشريعه ومنهم من جوز ذلك
في حال النبوه بشرط الاستسرار دون الاعلان ومنهم من
جوزها على الاحوال كلها ومنعت المعتزله من وقوع الكبائر
والصغائر المستخفه من الانبيا عليهم السلم قبل النبوه وفي
حالها وجوزت في الحالين وقوع ما لا يستخف من الصغائر
ثم اختلفوا فمنهم من جوز على النبي الاقدام على المعصيه الصغيره
على سبيل العمد ومنهم من منع من ذلك وقال انهم لا
يقدمون على الذنوب التي يعلمونها ذنوبا بل على سبيل
التاويل وحكي عن النظام وجعفر بن مبشر وجماعه ممن

تبعهما ان ذنوبهم لا تكون الا على سبيل السهو والغفلة وانهم
مواخذون بذلك وان كان موضوعا عن امتهم لقوة معرفتهم
وعلو رتبتهم وجوز كلهم ومن قدمنا ذكره من الحشوية
واصحاب الحديث على الائمه الكباير والصغاير الا انهم
يقولون ان بوقوع الكبيره من الامام تفسد امامته ويجب
عزله والاستبدال به ۝ واعلم ان الخلاف بيننا وبين
المعتزله في تجويزهم الصغاير على الانبيا صلوات الله عليهم
يكاد يسقط عند التحقيق لانهم انما يجوزون من الذنوب
ما لا يستقر له استحقاق عقاب وانما يكون حظه تنقيص
الثواب على اختلافهم ايضا في ذلك لان ابا علي الجبائي
يقول ان الصغير يسقط عقابه بغير موازنه وكانهم معترفون
بانه لا يقع منهم ما يستحقون به الذم والعقاب ۝ وهذه موافقه
للشيعه في المعنى لان الشيعه انما تنفي عن الانبيا عليهم السلام

جميع المعاصي من حيث كان كل شي منها يستحق به فاعله الذم
والعقاب لان الاحباط باطل عندهم فاذا بطل الاحباط فلا
معصيه الا ويستحق فاعلها الذم والعقاب فاذا كان استحقاق
الذم والعقاب منفيا عن الانبيا عليهم السلام وجب ان ينتفي
عنهم ساير الذنوب ويصير الخلاف من الشيعه والمعتزله
متعلقا بالاحباط فاذا بطل الاحباط فلا بد من الاتفاق على
ان شيا من المعاصي لا يقع من الانبيا من حيث يلزمه استحقا ق
الذم والعقاب ۝ لكنه يجوز ان نتكلم في هذه المسله على
سبيل التقدير ونفرض ان الامر في الصغاير والكباير على ما تقوله
المعتزله ومتى فرضنا ذلك لم نجوز ايضا عليهم الصغاير لما
نذكره ونبينه ۝ واعلم ان جميع ما نزه الانبيا عليهم السلام
عنه ونمنع من وقوعه منهم يستند الى دلاله العلم المعجز اما
بنفسه او بواسطه وتفسير هذه الجمله ان العلم المعجز اذا

كان واقعا موقع التصديق لمدعي النبوة والرسالة وجاريا
مجرى قوله تعالى له صدقت في انك رسولي ومودّ عني فلا بد
من ان يكون هذا المعجز مانعا من كذبه على الله تعالى فيما
يؤديه لانه تعالى لا يجوز ان يصدق الكذاب لان تصديق
الكذاب قبيح كما ان الكذب قبيح فاما الكذب في غير ما
يؤديه وسائر الكبائر فانما دل المعجز على نفيها من حيث كان
دالا على وجوب اتباع الرسول وتصديقه فيما يؤديه وقبوله
منه لان الغرض في بعثة الانبيا عليهم السلم وتصديقهم بالاعلام
المعجزة هو ان يمتثل ما ياتون به فما قدح في الامتثال والقبول
واثر فيهما اوجب ان يمنع المعجز منه فلهذا قلنا انه يدل على
نفي الكذب والكبائر عنهم في غير ما يؤديه بواسطة وفي الاول
يدل بنفسه ؞ فان قيل لم لا تستدلوا على ان تجويز الكبائر
يقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول والامتثال قلنا

لا شبهة

لا شبهة في ان من يجوز عليه كبائر المعاصي ولا نامن منه الاقدام
على الذنوب لا تكون نفوسنا ساكنة الى قبول قوله واستماع
وعظه سكونها الى من لا نجوز عليه شيا من ذلك وهذا هو معنى
قولنا ان وقوع الكبائر ينفر عن القبول والمرجع فيما ينفر ولا ينفر
الى العادات واعتبار ما يقتضيه وليس ذلك مما يستخرج
بالادلة والمقاييس ومن رجع الى العادة علم ما ذكرناه فانه من
اقوى ما ينفر عن قبول القول فان حظ الكبائر في هذا الباب
ان لم يزد على حظ السخف والمجون والخلاعة لم ينقص ؞ فان قيل
اليس قد جوز كثير من الناس على الانبيا الكبائر مع انهم
لم ينفروا عن قبول اقوالهم والعمل بما شرعوه من الشرايع وهذا
ينقض قولكم ان الكبائر منفرة ؞ قلنا هذا سوال من لم يفهم
ما اوردناه لانا لم نرد بالتنفير ارتفاع التصديق وان لا يقع
امتثال الامر جملة وانما اردنا ما فسرناه من ان يكون

النفس الى قبول قول من يجوز ذلك عليه لا يكون على
حد سكونها الى من لا يجوز ذلك عليه وانما مع تجويز
الكباير يكون ابعد من قبول القول كما انه مع الامان من
الكباير يكون اقرب الى القبول وقد يقرب من الشي ما لاجله
الشي عنده كما يبعد عنه ما لاجله يقع عنده الا ترى ان عبوس
الداعي للناس الى طعامه وتضجره وتبرمه منفر في العادة
عن حضور دعوته وتناول طعامه وقد يقع مع ما ذكرناه الحضور
والتناول ولا يخرجه من ان يكون منفرا وكذلك طلاقة وجهه
واستبشاره وتبسمه يقرب من حضور دعوته وتناول طعامه
وقد يرتفع الحضور مع ما ذكرناه ولا يخرجه من ان يكون مقربا فدل
على ان المعتبر في باب التنفير والتقريب بما ذكرناه دون وقوع الفعل
المنفر عنه او ارتفاعه فان قيل فهذا يقتضي ان الكباير لا تقع
منهم في حال النبوة من اين انها لا تقع منهم قبل النبوة وقد زال

حكمها بالنبوة المسقطة للعقاب والذم ولم يبق وجه يقتضي
التنفير قلنا الطريقة في الامرين واحدة لانا نعلم ان من يجوز
عليه الكفر والكباير في حال من الاحوال وان تاب منه وخرج
من استحقاق العقاب به لا نسكن الى قبول قوله سكوننا الى
من لا يجوز ذلك عليه في حال من الاحوال ولا على وجه من الوجوه ولهذا
لا يكون حال الواعظ لنا الداعي الى الله تعالى ونحن نعرفه
مقارفا للكباير مرتكبا لعظيم الذنوب وان كان قد فارق جميع
ذلك وتاب منه عندنا وفي نفوسنا كحال من لم يعهد منه الا النزاهة
والطهارة ومعلوم ضرورة الفرق بين هذين الرجلين فيما يقتضي
السكون والنفور ولهذا كثيرا ما يعير الناس من يعهدون منه القبايح
المتقدمة بها وان وقعت التوبة منها ويجعلون ذلك عيبا ونقصا
وقادحا ومؤثرا وليس اذا كان تجويز الكباير قبل النبوة
منخفضا عن تجويزها في حال النبوة وناقصا عن رتبته في باب التنفير

وجب الا يكون فيه شي من التنفير لان الشيين قد يشتركان
في التنفير وان كان احدهما اقوى من صاحبه الا ترى ان كثير
السخف والمجون والاستمرار عليه والانهماك فيه منفر لا محاله
وان القليل من السخف الذي لا يقع الا في الاحيان والاوقات
المتباعدة منفر ايضا وان فارق الاول في قوة التنفير ولم يخرجه
نقصانه في هذا الباب عن الاول من ان يكون منفرا في نفسه ⊙
فان قيل فمن اين ان الصغاير لا تجوز على الانبيا في حال النبوة وقبلها
قلنا الطريقه في نفي الصغاير في الحالين هي الطريقة في نفي الكبابر
في الحالين عند التامل لانا كما نعلم ان من يجوز كونه فاعلا للكبيرة متقدمة
قد تاب منها واقلع عنها ولم يبق معه شي من استحقاق عقابها
وذمها لا يكون سكوننا اليه كسكوننا الى من لا يجوز عليه ذلك
وكذلك نعلم ان من يجوز عليه من الانبيا عليهم السلم ان يكون مقدما على
القبايح مرتكبا للمعاصي في حال نبوته او قبلها وان وقعت مكفره

لا يكون سكوننا اليه كسكوننا الى من نامن منه على القبايح ولا نجوز عليه
فعل شي منها ⊙ فاما الاعتذار في تجويز الصغاير بان العقاب والذم
عنهم ساقطان فليس بشي لانه لا معتبر في باب التنفير بالذم والعقاب
حتى يكون التنفير واقعا عليهما الا ترى ان كثيرا من المباحات منفر ولا
ذم عليه ولا عقاب وكثيرا من الخلق والهيات منفر وهو خارج عن باب
الذم ⊙ على ان هذا القول يوجب على قايله تجويز الكباير عليهم قبل
البعثه لان التوبه والاقلاع قد ازالا الذم والعقاب اللذين يقف
التنفير على هذا القول عليهما فان قيل لم نفرت الصغاير وانما حظها
تقليل الثواب وتنقيصه لانها لكونها صغاير قد خرجت من اقتضا الذم
والعقاب ومعلوم ان قلة الثواب غير منفر الا ترون ان الانبيا عليهم
السلم قد يتركون كثيرا من النوافل ما لو فعلوه لاستحقوا كثيرا من
الثواب ولا يكون ذلك منفرا عنهم ⊙ قلنا الصغاير لم تكن منفره
من حيث قل الثواب معها بل انما كانت كذلك من حيث كانت

قبائح ومعاصي لله وقد بينا ان المجاز في باب التنفير الى العادة والشاهد
ودللنا على انهما يقتضيان نفي جميع الذنوب والقبائح على الوجه
الذي بيناه وبعد فان الصغائر في هذا الباب بخلاف الامتناع
من النوافل لانها ينقص ثوابا مستحقا ثابتا وترك النوافل ليس كذلك
والفرق واضح في العادة بين الانحطاط عن رتبة ثبتت واستحقت وبين رتبة
فوقها وان لا يكون حاصله جملة الا ترى ان من ولي ولاية جليلة
وارتقى الى رتبة عالية يؤثر في حاله العزل من تلك الولاية والهبوط ط
عن تلك الرتبة ولا يكون حاله هذه كحاله لو لم ينل تلك الولاية
ولا ارتقى الى تلك الرتبة وهذا الكلام الذي ذكرناه يبطل قول من
جوز على الانبيا عليهم السلام الصغائر على اختلاف مذاهبهم في تجويز
ذلك على سبيل العمد والتاويل الا ان ابا علي ومن وافقه في قوله ان
ذنوب الانبيا لا تكون عمدا وانما يقدمون عليها تاولا ومثله في ذلك
بقصة ادم عليه السلام فانه نهي عن جنس الشجرة دون عينها فتناول

وظن ان النهي تناول العين فلم يقدم على المعصية مع العلم بها
بالمعصية قد انتقض لانه انما ذهب الى هذا المذهب تنزيها للانبيا
عليهم السلام واعتقادا ان تعمد المعصية يوجب كبرها فنزههم
عن معصية واضاف اليهم معصيتين لانه مخطي على مذهبه
في الاعراض عن تامل مقتضى النهي وهل يتناول الجنس او العين لان
ذلك واجب عليه ومخطي في التناول من الشجرة وهاتان معصيتان ن
وبعد فان تعمد المعصية ليس يجب ان يكون مقتضيا لكبرها
لا محاله لانه لا يمتنع ان يكون مع التعمد مصاحبة من الخوف والوجل
ما يوجب صغرها ويمنع من كبرها وليس له ان يقول ان النظر فيما
كلفه من الامتناع من الجنس او النوع لم يكن واجبا عليه لان ذلك
ان لم يكن واجبا فكيف يكون مكلفا وكيف يكون تناوله
معصية ولا بد على هذا من ان يخطر الله تعالى بباله ما يقتضي وجوب
النظر في ذلك عليه واذا وجب عليه النظر ولم يفعله فقد تعمد

الاخلال بالواجب ولا فرق في باب التنفير بين الاقدام على المعصية
والاخلال بالواجب فاذا جاز عنده ان يتعمد الاخلال بالواجب ولا يكون
منه كبيرا جاز ان يتعمد نفس التناول ولا يكون منه كبيرا فاما ما
حكاه عن النظام وجعفر بن مبشر ومن وافقهما من ان ذنوب
الانبيا عليهم السلام على سبيل السهو والغفلة وانهم مع ذلك
مواخذون بها فليس بشي لان السهو يزيل التكليف ويخرج الفعل
من ان يكون ذنبا مواخذا به ولهذا لا يصح مواخذة المجنون والنايم
وحصول السهو في انه موثر في ارتفاع التكليف بمنزلة فقد
القدرة والالات والادلة فلو جاز ان تختلف حال الانبيا عليهم
السلم في صحة تكليفهم مع السهو جاز ان تختلف حالهم حال غيرهم
في جواز التكليف مع فقد سائر ما ذكرناه وهذا واضح فاما
الطريق الذي به نعلم ان الايمة عليهم السلم لا تجوز عليهم الكباير في
حال الامامة فهو ان الامام انما احتيج اليه لجهة معلومة وهي ان

يكون المكلف عند وجوده ابعد من فعل القبيح واقرب
من فعل الواجب على ما دللنا عليه في غير موضع فلو جازت عليه
الكباير لكانت علة الحاجة اليه ثابتة فيه وموجبة وجود
امام يكون اماما له والكلام في امامته كالكلام فيه وهذا
يودي الى وجود ما لا نهاية له من الايمة او الانتها الى امام معصوم
ومما يدل ايضا على ان الكباير لا تجوز عليهم ان قولهم قد ثبت انه
حجة في الشرع كقول الانبيا عليهم السلم بل قد يجوز ان ينتهي
الحال الى ان الحق لا يعرف الا من جهتهم ولا يكون الطريق اليه
الا اقوالهم على ما بيناه في مواضع كثيرة واذا ثبتت هذه الجملة
جرت مجرى الانبيا فيما يجوز عليهم او لا يجوز واذا قد بينا ان
الكباير والصغاير لا تجوز على الانبيا قبل النبوة ولا بعدها
لما في ذلك من التنفير عن قبول اقوالهم ولما في تنزيههم عن ذلك من
السكون اليهم فكذلك يجب ان يكون الايمة منزهين عن الكباير والصغا

ير

قبل الامامة وبعدها لان الحال واحد ۝ واذ قد قدمنا ما اردنا
تقديمه في هذا الباب نحن نبتدي بذكر الكلام على ما تعلقوا به من
جواز الكباير على الانبيا عليهم السلم من الايات ۝ فمما تعلقوا
به قوله تعالى ۝ في قصة ادم عليه السلم وعصى ادم ربه فغوى
قالوا وهذا تصريح بوقوع المعصية التي لا تكون الا قبيحة واكده
بقوله فغوى والغي ضد الرشد ۝ يقال لهم اما المعصية فهي
مخالفة الامر والامر من الحكيم تعالى قد يكون بالواجب وبالندب
معا فلا يمتنع على هذا ان يكون ادم عليه السلم مندوبا الى ترك
التناول من الشجرة ويكون بمواقعتها تاركا فعلا وفضلا وغير فاعل
قبيحا وليس يمتنع ان يسمى تارك النفل عاصيا كما يسمى بذلك تارك
الواجب فان تسمية من خالف ما امر به سوا كان واجبا او نفلا بانه
عاص ظاهر ولهذا يقولون امرت فلانا بكذا وكذا من الخير فعصاني
وخالفني ولم يكن ما امرته به واجبا ۝ فاما قوله فغوى فمعناه انه خاب

لانا نعلم انه لو فعل ما ندب اليه من ترك التناول من الشجرة لاستحق
الثواب العظيم فاذا خالف الامر ولم يصر الى ما ندب اليه فقد خاب
لا محالة من حيث لم يصر الى الثواب الذي كان يستحق بالامتناع ولا
شبهة في ان لفظة غوى يحتمل الخيبة ۝ قال الشاعر ۝
فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم على الغي لايما
فان قيل كيف يجوز ان يكون ترك الندب معصية اوليس هذا
يوجب ان يوصف الانبيا بانهم عصاة في كل حال وانهم لا ينفكون
من المعصية لانهم لا يكادون ينفكون من ترك الندب ۝ قلنا
وصف تارك الندب بانه عاص توسع وتجوز والمجاز لا يقاس عليه
ولا يعدل به عن موضعه ولو قيل انه حقيقة في فاعل القبيح وتارك
الاولى والافضل لم يجز اطلاقه ايضا في الانبيا عليهم السلم الا مع
التقييد لان استعماله قد كثر في القبايح فاطلاقه بغير تقييد
موهم لكنا نقول ان اريد بوصفهم بانهم عصاة انهم فعلوا

القبائح فلا يجوز ذلك وان اريد انهم تركوا ما لو فعلوه استحقوا
الثواب وكان اولى بهم فهو كذلك فان قيل فاي معنى لقوله
تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى واي معنى لقوله فتلقى
ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم وكيف يقبل
توبة من لم يذنب ام كيف يتوب من لم يفعل القبيح قلنا اما التوبة
عندنا وعلى اصولنا فغير موجبة لاسقاط العقاب وانما يسقط
الله تعالى العقاب عندها تفضلا والذي توجبه التوبة ويؤثره
وهو استحقاق الثواب فقبولها على هذا الوجه انما هو ضمان الثواب
عليها فمعنى قوله تعالى تاب عليه انه قبل توبته وضمن له ثوابها ولا بد
لمن ذهب الى ان معصية ادم عليه السلم صغيرة من هذا الجواب لانه
اذا قيل له كيف تقبل توبته ويغفر له ومعصيته في الاصل وقعت
مكفرة لا يستحق عليها شيء من العقاب لم يكن له بد من الرجوع الى ما ذكرناه
والتوبة قد يحسن ان يقع ممن لا يعهد من نفسه قبيحا على سبيل الانقطاع الى

الله والرجوع اليه ويكون وجه حسنها في هذا الموضع استحقاق
الثواب بها او كونها لطفا كما يحسن ان يقع ممن يقطع على انه
غير مستحق للعقاب وان التوبة لا تؤثر في اسقاط شيء يستحقه
من العقاب ولهذا جوزوا التوبة من الصغاير وان لم تكن مؤثرة في
اسقاط ذم ولا عقاب فان قيل الظاهر من القران بخلاف
ما ذكرتموه لانه اخبر ان ادم عليه السلم نهي عن اكل الشجرة
بقوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وبقوله الم انهكما
عن تلكما الشجرة وهذا يوجب انه عصا بان فعل منهيا عنه ولم
يعص بان ترك مأمورا به قلنا اما النهي والامر معا فليسا
يختصان عندنا بصيغة ليس فيها احتمال ولا اشتراك وقد يؤمر عندنا
بلفظ النهي وينهى بلفظ الامر وانما يكون النهي نهيا بكراهة المنهي عنه
فاذا قال تعالى لا تقربا هذه الشجرة ولم يكره قربهما لم يكن في الحقيقة ناهيا
كما انه تعالى لما قال اعملوا ما شئتم واذا حللتم فاصطادوا ولم يرد ذلك

لم يكن امرا واذا كان قد صح قوله لا تقربا هذه الشجرة ارادة
لترك التناول فيجب ان يكون هذا القول امرا وانما سماه نهيا
وسما امره نهيا فانه من حيث كان فيه معنى النهي لان في النهي ترغيبا
في الامتناع من الفعل وتزهيدا في الفعل نفسه ولما كان الامر ترغيبا
في الفعل المامور وتزهيدا في تركه جاز ان يسماه نهيا وقد يتداخل هذا ن
الوصفان في الشاهد فتقول حينا قد امرت فلانا بان لا يلقا
الامير وانما تريد انه نهاه عن لقائه وتقول نهيتك عن هجر زيد
وانما معناه امرتك بمواصلته فان قيل الا جعلتم النهي منقسما
الى نهي قبيح ونهي غير قبيح بان يكون تركه افضل من فعله كما جعلتم
الامر ينقسم الى واجب وغير واجب قلنا الفرق بين الامرين ظاهر
لان انقسام المامور به في الشاهد الى واجب وغير واجب غير
مدفوع ولا خاف وليس يمكن احدا ان يدفع ان في الافعال الحسنة
التي يستحق بها المدح والثواب ما له صفة الوجوب وفيها ما لا يكون

ذلك واذا كان الواجب مشاركا للندب في تناول الارادة له
واستحقاق الثواب والمدح به فليس يفارقه الا بكراهية الترك
لان الواجب تركه مكروه والنفل ليس كذلك فما جعلنا
الكراهة تتعلق بالقبيح وغير القبيح من الحكيم تعالى ولذلك النهي
كما جعلنا الارادة تتعلق بالواجب وغير الواجب ولا يرتفع
الفصل بين الواجب والندب مع ثبوت الفصل بينهما في العقول
فان قيل ما معنى حكايته تعالى عنهما ربنا ظلمنا انفسنا وقوله
فتكونا من الظالمين قلنا معناه انا نقصنا انفسنا وبخسناها
ما كنا نستحقه من الثواب بفعل ما اريد منا وحرمنا الفايدة
الجليلة من التعظيم وذلك الثواب وان لم يكن مستحقا قبل ان تفعل
الطاعة التي بها يستحق فهو في حكم المستحق فيجوز ان يوصف من
فوت نفسه بانه ظالم لها كما يوصف بذلك من فوت نفسه المنا نع
وهذا هو معنى قوله تعالى فتكونا من الظالمين فان قيل فاذا لم يقع

من ادم عليه السلم على قولكم معصية فلم اخرج من الجنة على
سبيل العقوبة وسلب لباسه على هذا الوجه ولولا ان الاخراج
من الجنة وسلب اللباس على سبيل الجزاء على الذنب ما قال
تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما
وقال تعالى في موضع اخر فاخرجهما مما كانا فيه قلنا نفس
الاخراج من الجنة لا يكون عقابا لان سلب اللذات والمنافع
ليس بعقوبة وانما العقوبة هي الضرر والالم الواقعان على سبيل
الاستخفاف والاهانة وكذلك نزع اللباس وابدا السوءة ولو
كانت هذه الامور مما يجوز ان يكون عقابا ويجوز ان يكون غيره
لصرفناها عن باب العقاب الى غيره بدلالة ان العقاب لا يجوز
ان يستحقه الانبيا عليهم السلم واذا فعلنا ذلك فيما يجوز ان يكون
واقعا على سبيل العقوبة فهو اولى فيما لا يجوز ان يكون كذلك
فان قيل فما وجه ذلك ان لم يكن عقوبة قلنا لا يمتنع ان يكون

الله تعالى

الله تعالى علم ان المصلحة تقتضي تبقية ادم في الجنة وتكليفه فيها
متى لم يتناول من الشجرة فمتى تناول منها تغيرت الحال في المصلحة وصار
اخراجه عنها وتكليفه في دار غيرها هو المصلحة وكذلك القول
في سلب اللباس حتى يكون نزعه بعد التناول من الشجرة هو المصلحة
كما كانت المصلحة في تبقيته قبل ذلك وانما وصف ابليس بانه مخرج
لهما من الجنة من حيث وسوس اليهما وزين عندهما الفعل الذي يكون
عنده الاخراج وان لم يكن على سبيل الجزاء عليه لكنه يتعلق به تعلق
الشرط في المصلحة وكذلك وصف بانه مبدي لسوآتهما من حيث
اغواهما حتى ابديا على سبيل حكم الله تعالى فان اللباس معه ينزع
عنهما ولا بد لمن ذهب الى ان معصية ادم عليه السلم صغيرة لا
يستحق بها العقاب من مثل هذا التاويل وكيف يجوز ان يعاقب
من الله تعالى نبيه بالاخراج من الجنة او غيره من العقاب لا بد ان يكون
مقرونا بالاستخفاف والاهانة وكيف يكون من تعبدنا الله فيه

نهايه التعظيم والتبجيل مستحقا منا ومنه تعالى الى الاستخفاف
والاهانه واى نفس تسكن الى مستخف بقدره ممتهن موبخ
مبكت وما يجرى مثل ذلك على الانبيا عليهم السلم الا من لا يعرف
حقوقهم ولا يعلم ما تقتضيه منازلهم ؛

مسئله

فان قال قايل فما قولكم في قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس
واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا
خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لين اتيتنا صالحا لنكونن صالحا
من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما
فتعالى الله عما يشركون ؛ اوليس ظاهر هذه الاية يقتضي
وقوع المعصية من ادم عليه السلم لانه لم يتقدم من يجوز صرف
الكنايه في جميع الكلام اليه الا ذكر ادم عليه السلم وزوجته
لان النفس الواحده هي ادم وزوجها المخلوق منها هي حوا فالظاهر

على ما تزعمون ينافي ما ذكرناه على انه قد روي في الحديث ان ابليس
لما ان حملت حوا عرض لها وكانت ممن لا يعيش لها ولد فقال لها
ان احببت ان يعيش ولدك فسميه عبد الحارث وكان ابليس
قد تسما حارثا فلما ولدت سمت بهذه التسميه فلهذا قال
الله تعالى جعلا له شركا فيما اتاهما ؛

الجواب

يقال له قد علمنا ان الدلالة العقلية التي قدمناها في ان الانبيا
عليهم السلام لا يجوز عليهم الكفر والشرك والمعاصي غير محتمله
ولا يصح دخول المجاز فيها والكلام في الجمله يصح فيه الاحتمال
وضروب المجاز فلا بد من بنا المحتمل على ما لا يحتمل ولو لم نعلم تاويل
هذه الايه على سبيل التفصيل ؛ وقد قيل في تاويل هذه الايه
ما يطابق دليل العقل ومما يشهد له اللغه وجوه ؛ منها ان الكنايه
في قوله جعلا له شركا فيما اتاهما غير راجعة الى ادم وحوا بل الى الذكور

والاناث من اولادهما او الى جنسين من اشرك من نسلهما وان
كانت الكناية الاولى متعلقة بهما ويكون تقدير الكلام فلما آتى
الله آدم وحوا الولد الصالح الذي تمنياه وطلباه جعل كفار
اولادهما ذلك مضافا الى غير الله تعالى ويعضد هذا التاويل
قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون وهذا ينبي عن ان المراد بالكناية
ما ذكرناه من الجنسين والنوعين وليس يجب من حيث كانت
الكناية المتقدمة راجعة الى ادم وحوا ان يكون جميع ما في
الكلام راجعا اليهما لان الفصيح قد ينقل من خطاب مخاطب الى
خطاب غيره ومن كناية الى خلافها قال الله تعالى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا لتومنوا بالله ورسوله فانصرف من مخاطبة الرسول
صلى الله عليه وآله الى مخاطبة المرسل اليهم ثم قال وتعزروه وتوقروه
يعني الرسول عليه السلم ثم قال وتسبحوه وهو يعني مرسل الرسول
فالكلام واحد متصل بعضه ببعض والكناية مختلفة كما ترى

قال الهذلي

قال الهذلي

يا لهف نفسي كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الاعفر

ولم يقل بياض وجهه وقال كثير

اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا ولا مقلية ان تقلت

ثم ترك الخطاب وقال الآخر

فدا لك ناقتي وجميع اهلي ومالي انه منها اتاني

ولم يقل منك اتاني فان قيل فكيف يكنى عمن
لم يتقدم له ذكر قلنا لا يمتنع ذلك قال الله تعالى حتى
توارت بالحجاب ولم يتقدم للشمس ذكر وقال الشاعر

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

ولم يتقدم للنفس ذكر والسوال على هذا المعنى كثيرة جدا
على انه قد تقدم ذكر ولد ادم في قوله تعالى هو الذي خلقكم
من نفس واحدة ومعلوم ان المراد بذلك جميع ولد ادم وتقدم

ايضا ذكرهم في قوله فلما اتاهما صالحا لان المعنى انه لما اتاهما ولدا
صالحا والمراد بذلك الجنس وان كان اللفظ لفظ واحد واذا تقدم
مذكوران عنى بامر لا يليق باحدهما وجب ان يضاف الى من يليق به
والشرك لا يليق بادم عليه السلم فيجب ان تنفيه عنه وان تقدم ذكره
وهو لايق بكفار ولده ونسله فيجب ان نعلقه بهم ۝ ومنها ما ذكره
ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني فانه حمل الايه على ان الكنايه في جميعها
غير متعلقه بادم وحوا عليهما السلم وجعل الهاء في تغشاها والكنايه
في دعوا ربهما فاذا اتاهما صالحا راجعين الى من اشرك ولم تعلق بادم
من الخطاب الا قوله خلقكم من نفس واحده قال والاشارة في قوله
خلقكم من نفس واحده الى الخلق عامه وكذلك قوله وجعل منها زوجها
ثم خص منها بعضهم كما قال الله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة فخاطب الجماعة بالتسيير
ثم خص راكب البحر فكذلك هذه الايه اخبرت عن جمله امر البشر بانهم

مخلوقون من نفس واحده وزوجها وهما ادم وحوا عليهما السلم ثم
عاد الذكر الى الذي سال الله تعالى ما سال فلما اعطاه اياه
ادعا له الشركا في عطيته قال وجايز ان يكون عنا بقوله هو الذي
خلقكم من نفس واحده المشركين خصوصا اذ كان كل بني ادم مخلوقا
من نفس واحده وزوجها ويكون المعنى في قوله خلقكم من نفس واحده
خلق كل واحد منكم من نفس واحده وهذا قد يجي كثيرا في القران وفي كلام
العرب قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعه شهدا
فاجلدوهم ثمانين جلده والمعنى فاجلدوا كل واحد منهم وهذا الوجه
يقارب الوجه الاول في المعنى وان خالفه في الترتيب ومنها ان تكون الها
في قوله جعلا له شركا راجعه الى الولد لا الى الله تعالى ويكون المعنى
انهما طلبا من الله تعالى امثالا للولد الصالح فشركا بين الطلبتين ويجري
هذا القول مجرى قول القايل طلبت مني درهما فلما اعطيتك شركته
باخر اي طلبت اخر مضافا اليه وعلى هذا الوجه لا يمتنع ان تكون الكنايه

من اول الكلام الى اخره راجعه الى ادم وحوا فان قيل فاى معنى على
هذا الوجه لقوله فتعالى الله عما يشركون وكيف يتعالى الله عن
ان يطلب منه ولد يتعد اخر قلنا لم ينزه الله تعالى نفسه عن هذا
الاشراك وانما نزههما عن الاشراك به وليس يمتنع ان ينقطع هذا
الكلام عن حكم الاول ويكون غير متعلق به لانه تعالى قال ايشركون
ما لا يخلق شيا وهم يخلقون فنزه نفسه عن هذا الشرك دون ما تقدم
وليس يمتنع انقطاع اللفظ في الحكم عما يتصل به في الصورة وهذا كثير
في القران وكلام العرب فاما ما يدعا في هذا الباب من الحديث فلا
يلتفت اليه لان الاخبار يجب ان تبنى على ادلة العقول ولا تقبل في
خلاف ما تقتضيه العقول ولهذا لا نقبل اخبار الجبر والتشبيه
ونردها او نتاولها ان كان لها مخرج سهل وكل هذا لو لم يكن الخبر الوا
مطعونا على سنده مقدوحا في طريقه وان هذا الخبر يرويه قتادة
عن الحسن ابن سمرة وهو منقطع لان الحسن لم يسمع من سمرة شيا في

قول البغداديين وقد يدخل الوهن على هذا الحديث من وجه اخر لان الحسن
نفسه يقول بخلاف هذه الرواية فيما رواه خلف بن سالم عن اسحق بن
يوسف عن عوف عن الحسن في قوله تعالى فلما اتاهما صالحا جعلا له
شركا قال هم المشركون وبازا هذا الحديث ما روي عن سعيد بن جبير
وعكرمة والحسن وغيرهم من ان الشرك غير منسوب الى ادم وزوجته
وان المراد به غيرهما وهذه جملة واضحة

مسئلة

فان سال عن قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي
وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه
عمل غير صالح فلا تسئلني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين
فقال ظاهر قوله تعالى انه ليس من اهلك فيه تكذيب قوله عليه السلم
انه من اهلي واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه الكذب
فما الوجه في ذلك قيل له في هذه الاية وجوه كل واحد منها صحيح

مطابق لأدلة العقل وأولها أن نفيه لأن يكون من أهله لم يتناول
نفي النسب وإنما نفى أن يكون من أهله الذين وعده بنجاتهم لأنه عز
وجل كان وعد نوحاً عليه السلم بأن ينجي أهله في قوله قلنا احمل
فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول فاستثنى
من أهله من هلاكه بالغرق ويدل على صحة هذا التأويل قول نوح عليه
السلم إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وعلى هذا الوجه تطابق الخبران
ولا يتنافيان وقد روي هذا التأويل بعينه عن ابن عباس رض وجماعة
من المفسرين

والجواب الثاني

أن يكون المراد بقوله تعالى ليس من أهلك أي أنه ليس على دينك
وأراد أنه كان كافراً مخالفاً لأبيه فكان كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام
أهله ويشهد لهذا التأويل قوله تعالى على طريق التعليل إنه عمل
غير صالح فتبين أنه إنما خرج من أحكام أهله بكفره وقبح عمله وقد حكي
هذا الوجه أيضاً عن جماعة من أهل التأويل

والوجه الثالث

أنه لم يكن ابنه على الحقيقة وإنما ولد على فراشه فقال عليه السلام
إنه ابني على ظاهر الأمر فأعلمه الله تعالى أن الأمر بخلاف الظاهر ونبهه
على خيانة امرأته وليس في ذلك تكذيب خبره لأنه إنما أخبر
عن ظنه وعما يقتضيه الحكم الشرعي وأخبره الله تعالى بالغيب الذي لا
يعلمه غيره وقد روي هذا الوجه عن الحسن ومجاهد وابن جريج ٥
وفي هذا الوجه بعد إذ فيه منافاة للقرآن لأنه تعالى قال ونادى نوح
ابنه فأطلق عليه اسم البنوة ولأنه أيضاً استثناه من جملة أهله
بقوله تعالى وأهلك إلا من سبق عليه القول ولأن الأنبياء عليهم
السلم يجب أن ينزهوا عن هذه الحال لأنها تعر وتشين وتغض من القدر
وقد جنبهم الله تعالى ما دون ذلك تعظيماً لهم وتوقيراً ونفياً لكل ما
ينفر عن القبول منهم وقد حمل ابن عباس قوة ما ذكرناه من الدلالة على
أن تأول قوله تعالى في امرأة نوح وامرأة لوط فخانتاهما أن الخيانة
لم تكن منهما بالزنى بل كانت إحداهما تخبر الناس بأنه مجنون والأخرى

تدل على الاضياف والوجهان الاولان في المعنيان في الايه فان
قيل اليس قد قال جماعه من المفسرين ان الهاء في قوله انه عمل غير صالح
راجعه الى السوال والمعنى ان سوالك اياي ما ليس لك به علم عمل غير صالح
لانه قد وقع من نوح عليه السلام السوال والرغبه في قوله رب ان ابني
من اهلي وان وعدك الحق ومعنى ذلك سوالك احنهم قلنا ليس
يجب ان تكون الهاء في قوله انه عمل غير صالح راجعة الى السوال بل الى
الابن ويكون تقدير الكلام ان ابنك ذو عمل غير صالح فحذف المضاف
واقام المضاف اليه مقامه ويشهد بصحه هذا التاويل قول الخنسا

ما ام سقب على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنان اظار
ترتع ما رتعت حتى اذا ذكرت فانما هي اقبال وادبار

وانما ارادت انها ذات اقبال وادبار وقد قال قوم في هذا الوجه
ان المعنى في قوله انه عمل غير صالح ان اصله عمل غير صالح من خبث ولد
على فراشه وليس بابنه وهذا جواب من يرى انه لم يكن ابنه على الحقيقه

والذي اخترنا خلاف ذلك وقد قريت هذه الايه بنصب اللام وكسر
الميم ونصب غير ومع هذه القراه لا شبهه في رجوع معنى الكلام
الى الابن دون سوال نوح عليه السلام وقد ضعف قوم القراه فقالوا
كان يجب ان يقول انه عمل عملا غير صالح لان العرب لا تكاد تقول هو
يعمل غير حسن حتى يقولوا عملا غير حسن وليس هذا الوجه بضعيف
لانه مما يبهم الظاهر اقامه الصفه مقام الموصوف عند انكشاف نسخ
المعنى وزوال اللبس فيقول القايل قد فعلت صوابا وقلت حسنا
بمعنى فعلت فعلا صوابا وقلت قولا حسنا وقال
عمر بن ابي ربيعه المخزومي

ايها القايل غير الصواب اخر النصح واقلل عتاب

وقال ايضا

وكم من قتيل ما يباء به دم ومن غلق رهنا اذا ضمه منى
ومن مالى عينيه من شي غيره اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

اراد وكم انسان قتيل ❊ وقال الـــــ زجل نحيله

كم من ضعيف العقل منتكث القوى ما ان له نقض ولا ابرام ❊

اراد كم من انسان ضعيف العقل والقوى ❊ فان قيل ان كان الامر

على ما ذكرتم فلم قال تعالى فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون

من الجاهلين وكيف [يقول] نوح عليه السلم من بعد رب اني اعوذ بك ان اسألك

ما ليس لي به علم والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قلنا ليس يمتنع

ان يكون عليه السلم نهي عن سؤال ما ليس له به علم وان لم يقع منه

وان يكون هو عليه السلم تعوذ من ذلك وان لم يواقعه الا ترى ان

نبينا عليه السلم قد نهي عن الشرك والكفر وان لم يقعا منه في قوله

تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وانما سأل نوح عليه السلم نجاة

ابنه باشتراط المصلحة لا على سبيل القطع فلما بين تعالى ان المصلحة في

غير نجاته لم يكن ذلك خارجا عما تضمنه السؤال ❊ فاما قوله تعالى

اني اعظك ان تكون من الجاهلين فمعناه لا تكونن منهم ولا شك في ان

وعظه تعالى هو الذي يصرف عن الجهل وينزه عن فعله وكل هذا واضح

مسئلة

فان قال فما معنى قوله تعالى حاكيا عن ابرهيم عليه السلم فلما جن

عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين

فلما راى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن

من القوم الضالين فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر

فلما افلت قال يا قوم اني بري مما تشركون ❊ اوليس ظاهر هذا الكلام

يقتضي انه عليه السلم كان يعتقد في وقت من الاوقات الهية الكواكب

وهذا مما قلتم انه لا يجوز على الانبيا عليهم السلم ❊

الجواب

قيل له في هذه الاية جوابان احدهما ان ابراهيم عليه السلم انما

قال ذلك في زمان مهلة النظر وعند كمال عقله وحضور ما يوجب عليه

النظر بقلبه وتحريك الدواعي على الفكر والتامل له لان ابرهيم عليه السلم

لم يخلو عارفا بالله تعالى وانما اكتسب المعرفة لما اكمل الله عقله وخوفه
من ترك النظر بالخواطر والدواعي فلما راى الكواكب وقد روي في التفسير
انه الزهرة اعظمه ما راها عليه من النور وعجيب الخلق وقد كان قومه
يعبدون الكواكب ويزعمون انها الهة قال هذا ربي على سبيل الفكر
والتامل لذلك فلما غابت وافلت وعلم ان الافول لا يجوز على الاله علم انها
محدثة متغيرة منتقلة وكذلك كانت حاله في رؤية القمر والشمس
وانه لما راى افولهما قطع على حدوثهما واستحالة الهيتهما وقال في اخر
الكلام يا قوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض حنيفا وما انا من المشركين وكان هذا القول منه عقيب
معرفته بالله تعالى وعلمه ان صفات المحدثين لا تجوز عليه فان
قيل كيف يجوز ان يقول عليه السلام هذا ربي مخبرا وهو غير عالم بما
يخبر به والاخبار بما لا يامن المخبر ان يكون كذبا قبيح وفي حال كمال
عقله ولزوم النظر له لا بد من ان تلزمه التحرز من الكذب وما جرى مجراه

في القبح قلنا عن هذا جوابان احدهما انه لم يقل ذلك مخبرا وانما
قاله فارضا ومقدرا على سبيل الفكر والتامل الا ترى انه قد يحسن
من احدنا اذا كان ناظرا في شيء ومتاملا بين كونه على احدى صفتيه ان يفرضه
على احدهما لينظر فيما يؤدي ذلك الفرض اليه من صحة او فساد ولا
يكون بذلك مخبرا في الحقيقة ولهذا يصح من احدنا اذا نظر في حدوث
الاجسام وقدمها ان يفرض كونها قديمة ليتبين ما يؤدي اليه ذلك الفرض
من الفساد

والجواب الاخر

انه اخبر عن ظنه وقد يجوز ان يظن المفكر المتامل في حال نظره وفكره
ما لا اصل له ثم يرجع عنه بالادلة والعلم ولا يكون ذلك منه قبيحا
فان قيل الاية تدل على ان ابراهيم عليه السلام ما كان راى هذه الكواكب
قبل ذلك لان تعجبه منها تعجب من لم يكن راها فكيف يجوز ان يكون
الى مدة كمال عقله لم يشاهد السماء وما فيها من النجوم قلنا لا يمتنع ان يكون
ما راى السماء الا في ذلك الوقت لانه على ما روي كان ولدته امه في

مغارة خوفاً من أن يقتله النمرود فمن يكون في المغارة لا يرى السماء
فلما قارب البلوغ وبلغ حد التكليف خرج من المغارة ورأى السماء وفكر
فيها وقد يجوز أيضاً أن يكون قد رأى السماء قبل ذلك إلا أنه لم يفكر
في أعلامها لأن الفكر لم يكن واجباً عليه وحين كمل عقله وحركته
الخواطر فكر في الشيء الذي كان يراه قبل ذلك ولم يكن مفكراً فيه

والجواب الآخر في أصل المسألة هو أن
إبراهيم عليه السلام لم يقل ما تضمنته الآيات على طريق الشك ولا في
زمان النظر والفكر بل كان في تلك الحال موقناً عالماً بأن ربه تعالى
لا يجوز أن يكون بصفة الكواكب وإنما قال ذلك على سبيل الإنكار
على قومه والتنبيه لهم على أن ما يعبد ويأفل لا يجوز أن يكون إلهاً معبوداً
ويكون قوله هذا ربي محمولاً على أحد وجهين أي هو كذلك عندكم
وعلى مذهبكم كما يقول أحدنا للمشبه على سبيل الإنكار لقوله هذا ربه
جسم يتحرك ويسكن والوجه الآخر أن يكون قال ذلك مستفهماً وأسقط

حرف الاستفهام للاستغناء عنه وقد جاء في الشعر ذلك كثيراً

قال الأخطل

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

وقال الآخر

لعمرك ما أدري وإن كنت دارياً بسبع رمين الجمر أم بثمان

وقال ابن أبي ربيعة

ثم قالوا تحبها قلت بهراً عدد القطر والحصى والتراب

فإن قيل حذف حرف الاستفهام إنما يحسن إذا كان في الكلام
دلالة عليه وعوض منه وليس يستعمل مع فقد العوض وما أنشدتموه
فيه عوض عن حرف الاستفهام المتقدم والآية ليس ذلك فيها
قلنا قد يحذف حرف الاستفهام مع ثبات العوض عنه ومع فقده
إذا زال اللبس في معنى الاستفهام وبيت ابن أبي ربيعة خال من حرف
الاستفهام ومن العوض عنه وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه

في قوله تعالى فلقتحم العقبة قال هو المقتحم العقبة فالقيت الف
الاستفهام وبعد فاذا جاز ان يلقوا الف الاستفهام لدلالة
الخطاب عليها فالا جاز ان يلقوها لدلالة العقول عليها الا ان دلالة له
العقل اقوى من دلالة غيره م

مسألة

فان قال فما معنى قوله تعالى مخبرا عن ابرهيم عليه السلم لما قال له
قوله انت فعلت هذا بالهتنا يا ابرهيم قال بل فعله كبيرهم هذا
فاسلوهم ان كانوا ينطقون وانما عنا بالكبير الصنم الكبير وهذا
كذب لا شك فيه لان ابرهيم عليه السلم هو الذي كسر الاصنام
فاضافته كسرها الى غيره ممن لا يجوز ان يفعل شيا لا يكون الا كذبا م

الجواب

قيل له الخبر مشروط غير مطلق لانه قال ان كانوا ينطقون
ومعلوم ان الاصنام لا تنطق وان النطق مستحيل وانما اراد ابرهيم
عليه السلم بهذا القول تنبيه القوم وتوبيخهم وتعنيفهم بعبادة من لا
يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يقدر ان يخبر عن نفسه بشي فقال
ان كانت هذه الاصنام تنطق فهي الفاعلة للتكسير لان من يجوز
ان ينطق يجوز ان يفعل واذا علم استحالة النطق عليها علم استحالة
الفعل وعلم باستحالة الامرين انها لا يجوز ان تكون الهة معبودة
وان من عبدها ضال مضل ولا فرق بين قوله انهم فعلوا ذلك
ان كانوا ينطقون وبين قوله انهم ما فعلوا ذلك ولا غيره لانهم لا ينطقون
ولا يقدرون واما قوله فاسلوهم فانما هو امر بسوالهم ايضا على شرط
والنطق منهم شرط في الامرين فكانه قال ان كانوا ينطقون فاسلوهم
فانه لا يمتنع ان يكونوا فعلوه وهذا يجري مجرى قول احدنا لغيره
من فعل هذا الفعل فيقول زيد ان كان فعل كذا وكذا ويشير
الى فعل يستحيله السايل الى زيد وليس في الحقيقة من فعله ويكون
غرض المسول نفي الامرين عن زيد وتنبيه السايل على خطاه في
اضافته ما اضافه الى زيد م وقد قرا بعض القرا وهو محمد بن السميفع

والثانى فعلّه كبيرهم بتشديد اللام والمعنى فلعله اى فلعل فاعل ذلك كبيرهم وقد جرت عادة العرب بحذف اللام الاولى من لعل فيقولون علّ قال الشاعر

علّ صروف الدهر او دولاتها تدلننا اللمه من لماتها

فتستريح النفس من زفراتها

وقال آخر يا ابتى علّك او عساكا

فان قيل واى فايدة فى ان يستفهم عن امر يعلم استحالته واى فرق فى المعنى بين القراتين قلنا لم يستفهم ولا شك على الحقيقة وانما نبههم بهذا القول على خطيئتهم فى عبادة الاصنام فكانه قال لهم ان كانت هذه الاصنام تضر وتنفع وتعطى وتمنع فلعلها هى الفاعلة لذلك التكسير لان من جاز منه ضرب من الافعال جاز منه ضرب آخر واذا كان ذلك الفعل الذى هو التكسير لا يجوز على الاصنام عند القوم فما هو اعظم منه اولى بان لا يجوز عليها

ان لا يضاف اليها والفرق بين القرائتين ظاهر لان القراة الاولى هى تمام الخبر فاحتجنا ان نعلقه بالشرط ليخرج من ان يكون كذبا والقراة الثانية تتضمن حرف الشك والاستفهام فهما مختلفان على ما ترى فان قيل اليس قد روى بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن قال بلغنى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ان ابراهيم عليه السلم ما كذب متعمدا قط الا ثلث مرات كلهن يجادل بهن عن دينه قوله انى سقيم وانما تمارض عليهم لان القوم خرجوا من قريتهم لعيدهم وتخلف هو ليفعل بالهتهم ما فعل وقوله بل فعله كبيرهم وقوله لسارة انها اختى لجبار من الجبابرة اراد اخذها قلنا قد بينا بالادلة العقلية التى لا يجوز فيها الاحتمال ولا خلاف الظاهر ان الانبيا عليهم السلم لا يجوز عليهم الكذب فما ورد بخلاف ذلك من الاخبار لا يلتفت اليه ويقطع على كذبه ان كان لا يحتمل تاويلا صحيحا لايقا بادلة العقل وان احتمل تاويلا يطابقها تاولناه

ووفقنا بينه وبينها وهكذا يفعل فيما يروى من الاخبار التي
تضمن ظواهرها الجبر والتشبيه فاما قوله عليه السلم
اني سقيم فسنبين بعد هذه المسألة بلا فصل وجه ذلك بانه ليس
بكذب وقوله بل فعله كبيرهم فقد بينا معناه واوضحنا عنه
فاما قوله لسارة انها اختي فان صح فمعناه انها اختي في الدين ولم
يرد اخوة النسب فاما ادعاوهم على النبي صلى الله عليه واله انه
قال ما كذب ابرهيم عليه السلم الا ثلث كذبات فالاولى ان يكون
كذبا عليه صلى الله عليه لانه عليه السلم كان اعرف بما يجوز
على الانبيا عليهم السلم وما لا يجوز عليهم ويحتمل ان كان صحيحا
انه يريد ما اخبر بما ظاهره الكذب الا ثلث دفعات فاطلق
عليه اسم الكذب لاجل الظاهر وان لم يكن على الحقيقة كذلك

مسئلة

فان قيل ما معنى قوله تعالى مخبرا عن ابرهيم عليه السلم فنظر نظرة في النجوم
فقال اني سقيم والسوال عليكم في هذه الاية من وجهين احدهما
انه حكى عن نبيه النظر في النجوم وعندكم ان الذي يفعله المنجمون من ذلك
ضلال والاخر قوله اني سقيم وذلك كذب

الجواب

قيل له في هذه الاية وجوه منها ان ابرهيم عليه السلم كانت به علة
تاتيه في اوقات مخصوصة فلما دعوه الى الخروج معهم نظر الى النجوم
ليعرف منها قرب نوبة علته فقال اني سقيم واراد انه قد حضر وقت
العلة وزمان نوبتها وشارفت الدخول فيها وقد تسمي العرب المشارف
للشي باسم الداخل فيه ولهذا يقولون لمن ادنفه المرض وخيف عليه
الموت هو ميت قال الله تعالى انك ميت وانهم ميتون فان قيل
لو اراد ما ذكرتموه لقال فنظر الى النجوم ولم يقل في النجوم لان لفظة
في لا تستعمل الا فيمن ينظر كما ينظر المنجم قلنا ليس يمتنع ان يريد
بقوله في النجوم انه نظر اليها لان حروف الخفض يقوم بعضها

مقام بعض قال الله تعالى ولأصلبنكم في جذوع النخل وإنما أراد
على جذوعها ۞ وقال الشاعر

اسهري ما سهرت أم حكيم ... واقعدي مرة لذاك وقومي

وافتحي الباب وانظري في النجوم ... كم علينا من قطع ليل بهيم

وإنما أراد انظري إليها لتعرفي الوقت ۞ ومنها أنه يجوز أن يكون
الله تعالى أعلمه بالوحي أنه سيمتحنه بالمرض في وقت مستقبل
وإن لم يكن قد جرت بذلك المرض عادته وجعل تعالى العلامة على ذلك
ظاهرة له من قبل النجوم إما بطلوع نجم على وجه مخصوص أو اقترانه
بنجم على وجه مخصوص فلما نظر إبراهيم عليه السلم في الأمارة التي نصبت
له من النجوم قال إني سقيم تصديقا بما أخبره الله تعالى ۞ ومنها ما
قاله قوم في ذلك من أن من كان آخر أمره الموت فهو سقيم وهذا
حسن لأن تشبيه الحياة المفضية إلى الموت بالسقم من أحسن التشبيه
ومنها أن يكون قوله إني سقيم معناه إني سقيم القلب والرأي حزنا ۞

من إصرار قومه على عبادة الأصنام وهي لا تسمع ولا تبصر ويكون قوله فنظر
نظرة في النجوم على هذا معناه أنه نظر وفكر في أنها محدثة مدبرة
مصرفة وعجب كيف يذهب على العقلاء ذلك من حالها حتى يعبدوها
ويجوز أيضا أن يكون قوله فنظر نظرة في النجوم معناه أنه شخص
ببصره إلى السماء كما يفعل المفكر المتأمل فإنه ربما أطرق إلى الأرض
وربما نظر إلى السماء استعانة على فكره ۞ وقد قيل إن النجوم هاهنا
هي نجوم النبت لأنه يقال لكل ما خرج من الأرض وغيرها وطلع إنه
ناجم وقد نجم ويقال للجميع نجوم ويقولون نجم قرن الظبي ونجم ثدي
المرأة وعلى هذا الوجه يكون إنما نظر في حال الفكر والإطراق
إلى الأرض فرأى ما نجم منها وقيل أيضا أنه أراد بالنجوم ما نجم له من رأيه
وظهر له بعد أن لم يكن ظاهرا وهذا وإن كان يحتمله الكلام فالظاهر
بخلافه لأن الإطلاق من قول القائل نجوم لا يفهم من ظاهره إلا نجوم
السماء دون نجوم الأرض ونجوم الرأي وليس كلما قيل فيه إنه نجم

وهو ناجم على الحقيقة يصلح ان يقال فيه نجوم بالاطلاق والمرجع في هذا
الى تعارف اهل اللسان وقال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني ان
معنى قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم اراد في القمر والشمس لما ظن انهما
الهة في حال مهلة النظر على ما قصه الله تعالى من قصته في سورة
الانعام ولما استدل بافولها وغروبها على انها محدثة غير قديمة ولا
الهة واراد بقوله اني سقيم اني لست على يقين من الامر ولا اشتفاء
من العلم وقد يسمى الشاك بانه سقيم كما يسمى العالم بانه شفاء قال وانما
زال عنه هذا السقم عند زوال الشك وكمال المعرفة وهذا
الوجه يضعف من جهة ان القصة التي حكى عن ابرهيم
عليه السلم فيها هذا الكلام يشهد ظاهرها بانها غير القصة
المذكورة في سورة الانعام وان القصة مختلفة لانه تعالى
قال وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لابيه
وقومه ماذا تعبدون أئفكا الهة دون الله تريدون فما ظنكم
برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فبين تعالى كما
ترى انه جاء ربه بقلب سليم وانما اراد انه كان سليما من الشك
وخالصا للمعرفة واليقين ثم ذكر انه عاتب قومه عن عبادة
الاصنام فقال ماذا تعبدون ونبههم على انها افك وباطل
ثم قال فما ظنكم برب العالمين وهذا قول عارف بالله تعالى مثبت
له على صفاته غير ناظر ولا ممثل ولا شاك فكيف يجوز ان يكون
قوله من بعد ذلك فنظر نظرة في النجوم انه ظنها اربابا الهة
وكيف يكون قوله اني سقيم اني لست على يقين ولا شفاء والمعنى في
تاويل ذلك ما قدمناه

مسئلة

فان قال فما قولكم في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه
ان اتاه الله الملك اذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت قال انا احيي
واميت قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب

وهذا يدل على انقطاع ابرهيم وعجزه عن نصرة دليله الاول ولهذا انتقل الى حجة اخرى وليس ينتقل المحتج من شيء الى غيره الا على وجه القصور عن نصرته

الجواب

قلنا ليس هذا بانقطاع من ابرهيم عليه السلم ولا عجز عن نصرة حجته الاولى وقد كان ابرهيم عليه السلم قادرا لما قال له الجبار الكافر انا احيي واميت في جواب قوله ربي الذي يحيي ويميت ويقال انه دعا رجلين فقتل احدهما واستحيا الاخر فقال عند ذلك انا احيي واميت وموه بذلك على من بحضرته على ان يقول له ما اردت بقولي ان ربي الذي يحيي ويميت ما ظننته من استبقاء حي وانما اردت انه يحيي الميت الذي لا حياة فيه الا ان ابرهيم عليه السلم علم انه ان اورد ذلك عليه التبس الامر على الحاضرين وقويت الشبهة لاجل الاشتراك الاسم فعدل الى ما هو اوضح وابين واكشف وابعد من الشبهة فقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق

على الجواب صح

فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ولم يبق عنده شبهة ومن كان قصده البيان والايضاح فله ان يعدل من طريق الى اخر لوضوحه وبعده عن الشبهة وان كان كل الطريقين يفضي الى الحق على انه بالكلام الثاني ناصر للحجة الاولى وغير خارج عن سنن نصرتها لانه لما قال ربي الذي يحيي ويميت فقال له في الجواب انا احيي واميت قال له فمن شان هذا الذي يحيي ويميت ان يقدر على ان ياتي بالشمس من المشرق ويصرفها كيف شا فان ادعيت انك القادر على ما يقدر الرب عليه فات بالشمس من المغرب كما ياتي هو بها من المشرق واذا عجزت عن ذلك علمنا انك عاجز عن الحياة والموت ومدع فيهما ما لا اصل له فان قيل فلو قال له في جواب هذا الكلام فربك لا يقدر على ان ياتي بالشمس من المغرب فكيف تلزمني ان اتي بها من المغرب قلنا لو قال له ذلك لكان ابرهيم عليه السلم يدعو الله تعالى ان ياتي بالشمس من المغرب فيجيبه الى ذلك وان كان معجزا خارقا للعادة

ولعل الخصم انما عدل عن ان يقول له ذلك تعلما منه بانه اذا اتى الله

تعالى فيه اجابه اليه

مسيلة

فان قال فما معنى قوله تعالى حاكيا عن ابرهيم عليه السلم رب ارني كيف

تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي او ليس هذا الكلام

والطلب من ابرهيم عليه السلم يدلان على انه لم يكن موقنا بان الله تعالى

يحيي الاموات وكيف يكون نبيا من يشك في ذلك او ليس قد روي في التفسير

ان ابرهيم عليه السلم مر بحوت نصفه في البر ونصفه في البحر ودواب البر والبحر

تاكل منه فاخطر الشيطان بباله استبعاد رجوع ذلك حيا مولفا مع

تفرق اجزايه وانقسام اعضايه في بطون حيوان البر والبحر فسال الله

تعالى ما تضمنته الاية وروى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه

واله انه قال نحن احق بالشك من ابرهيم

الجواب

قيل ليس في الاية دلالة على شك ابرهيم عليه السلم في احيا الموتى

وقد يجوز ان يكون انما سال ذلك ليعلمه على وجه يبعد من الشبهة ولا يعترض

فيه شك ولا ارتياب وان كان من قبل قد علمه على وجه للشبهة فيه مجال

ونحن نعلم ان المشاهدة لما شاهده ابرهيم عليه السلم من كون الطير حيا

ثم تفرقه وتقطعه وتباين اجزايه ثم رجوعه حيا كما كان في الحال الاولى

من الوضوح وقوة العلم ونفي الشبهة ما ليس لغيره من وجوه الاستدلال

وللنبي عليه السلم ان يسال ربه تخفيف محنته وتسهيل تكليفه والذي

يبين صحة ما ذكرناه قوله تعالى اولم تومن قال بلى ولكن ليطمين قلبي فقد

اجاب ابرهيم عليه السلم بمعنى جوابنا بعينه لانه بين انه لم يسل ذلك

لشك فيه وفقد ايمانه وانما اراد الطمانينة وهي ما اشرنا اليه

من سكون النفس وانتفا الخواطر والوساوس والبعد عن اعتراض

الشبهة

وجه اخر

وهو انه قد قيل ان الله تعالى لما بشر ابرهيم عليه السلم بخلته واصطفايه

واجتبايه سال الله تعالى ان يريه احيا الموتى ليطمين قلبه بالخلة لان

الانبيا عليهم السلم لا يعلمون صحة ما تضمنه الوحي الا بالاستدلال فسال

احيا الموتى لهذا الوجه لا للشك في قدرة الله تعالى على ذلك

وجه اخر

وهو ان نمرود بن كنعان لما قال لابرهيم عليه السلم انت تزعم ان ربك
يحيي الموتى وانه قد ارسلك الى تدعوني الى عبادته فسله ان يحيي لنا
ميتا ان كان على ذلك قادرا فان لم يفعل قتلتك قال ابرهيم عليه السلم
رب ارني كيف تحيي الموتى ويكون معنى قوله ولكن ليطمئن قلبي على هذا الوجه
اي لامن من القتل ويطمئن قلبي بزوال الروع والخوف وهذا الذي ذكرناه
وان لم يكن مرويا على هذا الوجه فهو مجوز واذا جاز صلح ان يكون وجها في تاويل
الاية مبينا تاما

وجه اخر

وهو انه يجوز ان يكون ابرهيم عليه السلم انما سال احيا الموتى لقومه
ليزول شكهم في ذلك وشبهتهم ويجري مجرى سوال موسى عليه السلم
الروية لقومه ليصدر منه تعالى جواب يزيل شبهتهم في جوازها
عليه ويكون قوله ليطمئن قلبي على هذا الوجه معناه ان نفسي تسكن

الى زوال شككهم وشبههم او ليطمئن قلبي الى اجابتك اياي فيما اسل
فيه وكل هذا جائز وليس في الظاهر ما يمنع منه لان قوله ولكن
ليطمئن قلبي ما يتعلق في ظاهر الاية بامر لا يسوغ العدول عنه مع
التمسك بالظاهر وما تعلقت هذه الطمانينة به غير مصرح
بذكره فلنا ان نعلقه بكل امر يجوز ان تتعلق به فان قيل فما
معنى قوله تعالى او لم تومن وهذا لفظ استقبال وعندكم انه كان
مومنا فيما مضى قلنا معنى ذلك اولم تكن قد امنت والعرب
تاتي بهذا اللفظ وان كان في ظاهره للاستقبال وتريد به الماضي
فيقول احدهم لصاحبه اولم تعاهدني على كذا وكذا وتعاقدني
على ان لا تفعل كذا وكذا وانما يريد الماضي دون المستقبل فان
قيل فما معنى قوله تعالى فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل
على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم
قلنا قد اختلف الناس في معنى قوله فصرهن اليك فقال قوم معنى

صرهن اذن واملهن قال الشاعر

نظل معقلات السوق خوضا تصور انوفهن ريح الجنوب

اراد ان ريح الجنوب تميل انوفها وتعطفها وقال الطرماح

عفايف الا ذاك او ان تصورها هوى والهوى للعاشقين صروع

ويقول القايل للغير صر وجهك الي اي اقبل به علي ومن حمل الاية على هذا
الوجه لابد من ان يقدر محذوفا في الكلام يدل عليه سياق اللفظ
ويكون تقدير الكلام خذ اربعة من الطير فاملهن اليك ثم قطعهن
ثم اجعل على كل جبل منهن جزوا فقال قوم ان معنى صرهن
اي قطعهن واستشهدوا بقول توبة بن الحمير

فلما جذبت الحبل اطت نسوعه باطراف عيدان شديد اسورها

فادنت لي الاسباب حتى بلغتها بنهضي وقد كاد ارتقاي يصورها

وقال الاخر

يقولون ان الشام يقتل اهله فمن لي ان لم اته بخلود

تعرب اباي فهلا صراهم من الموت ان لم يرهبوا وجدودي

اراد قطعهم في الاصل صري يصري صريا من قولهم بات يصري في حوضه
اذا استقى ثم قطع فالاصل صري فقلبت اللام واخرت العين هذا قول
الكوفيين فاما البصريون فانهم يقولون ان صار يصير ويصور بمعنى
واحد اي قطع ويستشهدون بالابيات التي تقدمت ويقول الخنسا

لظلت الشم منها وهي تنصار

وعلى هذا الوجه لابد في الكلام من تقديم وتاخير ويكون التقدير فخذ اربعة
من الطير اليك فصرهن اي فقطعهن فاليك من صلة خذ لان التقطيع
لا يعدى بالى فان قيل فما معنى قوله تعالى ثم ادعهن ياتينك سعيا وهل
امره بدعايهن وهن احيا او اموات وعلى كل حال فدعاوهن قبيح لان امر
البهايم التي لا تعقل ولا تفهم قبيح وكذلك امرهن وهن اعضا متفرقة اظهر في
القبح قلنا لم يرد تعالى الا حال الحياة دون حال التفرق والتمزق واراد تعالى
بالدعا الاشارة الى تلك الطيور فان الانسان قد يشير الى البهيمة بالمجي

او الذهاب تنفهم عنه ويجوز ان يسمى ذلك دعاء اما على الحقيقة او على المجاز
وقد قال ابو جعفر الطبري ان ذلك ليس بامر ولا دعاء ولكنه عبارة
عن تكوين الشي ووجوده كما قال تعالى في الذين مسخهم كونوا قردة خاسئين
وانما اخبر تعالى عن تكوينهم كذلك من غير امر ولا دعاء فيكون المعنى على هذا
التاويل ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا فان الله تعالى يولف تلك
الاجزاء ويعيد الحياة فيها فياتينك سعيا وهذا وجه قريب فان
قيل على الوجه الاول كيف يصح ان يدعوها وهي احياء وظاهر
الاية يشهد بخلاف ذلك لانه تعالى قال ثم اجعل على كل جبل منهن
جزءا وقال عقيب هذا الكلام من غير فصل ثم ادعهن ياتينك سعيا
فدل ذلك على ان الدعاء توجه اليهن وهن اجزاء متفرقة قلنا ليس الامر
على ما ذكر في السوال لان قوله تعالى ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا
لا بد من تعلقه بمحذوف بعده وهو فان الله يولفهن ويحييهن ثم ادعهن
ياتينك سعيا ولا بد من حمل الدعاء على حال التفرق وانتفاء الحياة من تعلقه

محذوف في الكلام لانا نعلم ان تلك الاجزاء والاعضاء لا تاتي عقيب
الدعاء بلا فصل فلا بد من ان يقدر في الكلام عقيب قوله ثم ادعهن
فان الله يولفهن ويحييهن فياتينك سعيا فاما ابو مسلم الاصفهاني
فانه فر من هذا السوال وحمل الكلام على وجه ظاهر الفساد لانه
قال ان الله تعالى امر ابرهيم عليه السلم بان ياخذ اربعة من الطير فيجعل على
كل جبل طائرا او عبر بالجزء عن واحد من الاربعة ثم امره بان يدعوهم وهم احياء
غير انه تقدمت ولا تفرق من الاعضاء وتمرين على الاجابة للدعاء والمجي
اليه في كل وقت يدعوها فيه ونبه بذلك على انه تعالى اذا اراد احياء
الموتى وحشرهم اتوه من الجهات كلها مستجيبين غير ممتنعين كما تاتي هذه
الطيور بالتمرين والتعويد وهذا ليس بشي لان ابرهيم عليه السلم انما
سال ربه كيف يحيي الموتى وليس في مجي الطيور وهي احياء بالعادة والتمرين
دلالة على ما سال عنه عليه السلم ولا حجة فيه وانما يكون في ذلك بيان
لمسالته اذا كان على الوجه الذي ذكرناه فان قيل اذا كان انما امر بدعائهن

بعد حال التأليف والحياة فأي شايبة في احيايها وهو قد علم لما راها تتألف
اعضاوها من بعد وتركب انها قد عادت الى حال الحياة ولا يعني
بالعلم الا ان يكون منشا ولا لها وهي متفرقة قلنا المدخل في الشبهة
لانه لا يحقق من بعد رجوع الحياة الى الطيور وان شاهدها متألفة ولما
يحقق ذلك بان تسعى اليه وتقرب منه

مسيلة

فان قيل فما معنى قوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن
موعدة وعدها اياه وكيف يجوز ان يستغفر لكافر او يعده بالاستغفار

الجواب

قلنا معنى هذه الاية ان اباه كان وعده بان يومن واظهر له الايمان على سبيل
النفاق حتى ظن به الخير فاستغفر الله له تعالى على هذا الظن فلما
تبين له انه مقيم على كفره رجع عن الاستغفار له وتبرا منه على ما نطق
به القران وكيف يجوز ان يجعل ذلك دليلا على ان ابرهيم عليه السلم وقع عليه

الله تعالى في قوله ان استغفاره انما كان لاجل الموعد وانه تبرا منه لما
تبين له المقام على عداوة الله تعالى فان قيل فلم لم يكن هذه الاية
دالة على اضافة الذنب اليه والاية التي في سورة الممتحنة تدل على ذلك
لانه تعالى قال قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه
اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم
وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تومنوا بالله وحده
الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فامر بالتاسي به الا في هذا
الفعل وهذا يقتضي انه قبيح قلنا ليس يجب ما ذكر في السوال
بل وجه استثناء استغفار ابرهيم عليه السلم لابيه من جملة ما امر
الله تعالى بالتاسي به فيه انه لو اطلق الكلام لابرهيم لامر بالتاسي
به في ظاهر الاستغفار من غير علم بوجهه والموعدة السابقة من ابيه
له بالايمان ادى ذلك الى حسن الاستغفار لغير الكفار فاستثنى
الاستغفار من جملة الكلام لهذا الوجه ولانه لم يكن ما اظهره لابيه

عليه السلم من الايمان ووعد به معلوما لكل احد فيزول الاشكال
في انه استغفر لكافر مصر على كفره ويمكن ايضا ان يكون قوله
تعالى الا قول ابرهيم لابيه استثنا من غير التاسي بل من الجملة الثانية
التي تعقبها هذا القول بلا فصل وهي قوله تعالى اذ قالوا لقومهم
انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله الى قوله تعالى وبدا بيننا وبينكم
العداوة والبغضا ابدا لانه لما كان استغفار ابرهيم عليه السلم
مخالفا لما تضمنته هذه الجملة وجب استثناؤه والا يوهم بظاهر
الكلام انه عامل اباه من العداوة والبراة بما عامل به غيره
واما قوله تعالى الا عن موعدة وعدها اياه فقد قيل ان الموعدة
انما كانت من الاب بالايمان للابن وهو الذي قدمناه وقيل انها كانت
من الابن بالاستغفار للاب في قوله لاستغفرن لك وما املك
لك من الله من شي والاولى ان تكون الموعدة هي من الاب بالايمان
للابن لانا ان حملناه على الوجه الثاني كانت المسلة قائمة وقابل

ان يقول

ان يقول ولم اراد ان يعده الاستغفار وهو كافر عند ذلك لابد من ان
يقال انه اظهر له الايمان حتى ظنه فيعود الى معنى الجواب الاول
فان قيل وما تنكرون من ذلك ولعل الوعد كان من الابن للاب بالاستغفار
وانما وعده لانه اظهر له الايمان قلنا ظاهر القران يمنع من ذلك لانه
تعالى قال وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه فعلل حسن الاستغفار بالموعدة ولا تكون الموعدة مؤثرة في حسن
الاستغفار الا بان تكون من الاب للابن بالايمان لانها اذا كانت من الابن
لم تحسن لها الاستغفار لانه ان قيل انما وعده الاستغفار لاظهاره له
الايمان فالمؤثر في حسن الاستغفار هو اظهاره الايمان لا الموعدة
فان قيل افليس اسقاط عقاب الكفر والغفران لمرتكبه كانا جائزين
من طريق العقل وانما منع منهما السمع فالا جاز ان يكون ابرهيم عليه السلم
انما استغفر لابيه لان السمع لم يقطع له على عقاب الكفار فكان باقيا
على حكم العقل وليس يمكن ان ندعي ان في شرعنا القطع على عقاب

الكفار كان في شرعه عليه السلام لان هذا لا سبيل اليه قلنا
هذا الوجه كان جائزا لولا ما نطق القران به من خلافه لانه تعالى
قال ما كان للنبي والذين امنوا معه ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم ثم قال عاطفا
على ذلك وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه فصرح بعلة حسن استغفاره
وانها الموعدة ولو كان الوجه في حسن الاستغفار ما ظنه السائل
لوجب ان يعلل استغفاره لابيه فانه لم يعلم انه من اهل النار لا محالة
ولم يقطع في شرعه على عقاب الكفار والكلام يقتضي خلاف هذا ويوجب
انه تبين لابرهيم عليه السلام من ذلك ما تبين لنا وان العلة فيه هو
الموعدة دون غيرها وقد قال ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي
في تاويل الاية التي في سورة التوبة ما لخص ذكره ومنه نقلت فيه
قال بعد ان ذكر ان الاستغفار انما كان لاجل الموعدة من الاب

بالايمان ان الله تعالى انما ذكر قصة ابرهيم عليه السلام بعد قوله ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين لئلا يتوهم احد ان الله عز وجل
كان جعل لابرهيم عليه السلام من ذلك ما لم يجعله للنبي صلى الله عليه
واله لان هذا الذي لم يجعله للنبي عليه السلام لا يجوز ان يجعله لاحد
لانه ترك الرضا بافعال الله واحكامه وهذا الذي ذكره غير
صحيح على ظاهره لانه يجوز ان يجعل لغير نبينا عليه السلام ممن لم يقطع
له على ان الكفار معاقبون لا محالة ان يستغفر للكفار لان العقل
لا يمنع من ذلك وانما يمنع السمع الذي فرضنا ارتفاعه فان قال اذن
ليس لاحد ذلك مع القطع على العقاب قلنا ليس هكذا يقتضي
ظاهر كلامك وقد كان يجب اذا اراد هذا المعنى ان يبينه ويزيل
الايهام عنه وانما لم يجز ان يستغفر للكفار مع ورود الوعيد
القاطع على عقابهم ابدا على ما ذكره ابو علي من انه ترك الرضا باحكام الله
تعالى لان فيه سؤالا له تعالى ان يكذب في اخباره وان يفعل القبيح

من حيث خبر انه لا يغفر للكفار مع الاصرار

مسألة

فان قال اذا كان مذهبكم ان دعا الانبيا لا يكون الا مستجابا وقد دعا ابرهيم عليه السلم ربه فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وقد عبد كثير من بنيه الاصنام وكذلك السوال عليكم في قوله رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي

الجواب

قيل له اما المفسرون فانهم حملوا هذا الدعا على الخصوص وجعلوه متناولا لمن اعلمه الله تعالى انه يومن ولا يعبد الاصنام حتى يكون الدعا مستجابا وبينوا ان العدول عن ظاهر المقتضي للعموم الى الخصوص بالدلالة واجب وهذا الجواب صحيح ويمكن في الاية

وجه اخر

وهو ان يريد بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اي افعل بي وبهم من الالطاف ما يباعدنا من عبادة الاصنام ويصرف دواعينا عنها وقد

يقال في من حذر من الشي ورغب في تركه وقوى صوارفه عن فعله انه قد جنبه الا ترى ان الوالد قد يقول لولده اذا كان قد حذره من بعض الافعال وبين له قبحه وما فيه من الضرر وزين له تركه وكشف عما فيه من النفع انني قد جنبتك كذا وكذا ومنعتك منه وانما يريد ما ذكرناه وليس لاحد ان يقول كيف يدعو ابرهيم عليه السلم بذلك وهو يعلم ان الله تعالى لا بد ان يفعل هذا اللطف المقوي لدواعي الايمان لان هذا السوال لا يتوجه على الجوابين جميعا لانه تعالى لا بد ان يفعل اللطف الذي تقع الطاعة عنده لا محالة كما لا بد ان يفعل ما يقوي الداعي الى الطاعات

والجواب

عن هذه الشبهة ان النبي لا يمتنع ان يدعو بما يعلم ان الله تعالى سيفعله على كل حال على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والتذلل والتعبد فاما قوله واجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي فالشبهة تقل فيه لان ظاهر الكلام يقتضي الخصوص في ذريته الكثير ممن اقام الصلاة

مسألة

فان قيل فما معنى قوله تعالى ﴿ولقد جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ﴾ وكيف حضر ابرهيم عليه السلم الملائكة عليهم السلم الطعام وهو يعلم انها لا تطعم ومن اى شي كانت مخافته منهم لما امتنعوا من تناول الطعام وكيف يجوز ان يجادل ربه فيما قضاه وامر به

الجواب

قلنا اما وجه تقديم الطعام فلانه لم يعلم في الحال انهم ملائكة لانهم كانوا في صورة البشر وظنهم اضيافا وكان من عادته عليه السلم قرى الضيف فدعاهم الى الطعام ليستانسوا وينبسطوا فلما امتنعوا انكر ذلك منهم فظن ان الامتناع لسوء يريدونه حتى خبروه بانهم رسل الله تعالى انفذهم لاهلاك قوم لوط فاما الحنيذ فهو المشوي بالحجارة وقيل ان الحنيذ الذي يقطر ماؤه ودسمه وقد شوي وقيل الحنيذ النضيج وانشد ابو العباس ثعلب

اذا اما اغتبطنا اللحم للطالب القرى حنذناه حتى يمكن اللحم آكله

فان قيل كيف صدقهم في دعواهم انهم ملائكة قلنا لا بد ان يقترن بهذا الدعوى علم يقتضي التصديق ويقال انهم دعوا الله تعالى باحياء العجل الذي كان ذبحه وشواه فعاد حيا يرعى فاما قوله تعالى ﴿يجادلنا في قوم لوط﴾ فقيل ان معناه يجادل رسلنا وعلق المجادلة به تعالى من حيث كانت لرسله وانما جادلهم مستفهما منهم هل العذاب نازل على سبيل الاستيصال او على سبيل التخويف وهل هو عام للقوم ام خاص وعن طريق نجاة لوط واهله المومنين مما يلحق القوم وسمى ذلك جدالا لما فيه من المراجعة والاستثبات على سبيل المجاز وقيل ان معنى جادلنا اى سالنا في قوم لوط ان يوخر عذابهم رجاء ان يومنوا او ان يستانفوا الصلاح فخبره الله تعالى بان المصلحة في اهلاكهم وان كلمة العذاب قد حقت عليهم وسمى المسألة جدالا على سبيل المجاز فان قيل فما معنى قوله تعالى فلما ذهب

عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط فاتى بفعل مستقبل
بعد لما ومن شان ما ياتي بعدها ان يكون ماضيا قلنا عن ذلك
جوابان احدهما ان في الكلام محذوفا والمعنى اقبل يجادلنا وجعل يجادلنا
وانما حذفه لدلالة الكلام عليه واقتضايه له

والجواب الاخر

ان لفظة لما تطلب في جوابها الماضي كطلب لفظة ان في جوابها
المستقبل فلما استحسنوا ان ياتوا في جواب ان بالماضي ومعناه
الاستقبال لدلالة ان عليه استحسنوا ان ياتوا بعد لما بالمستقبل
تعويلا على ان اللفظة تدل على مضيه فلما قالوا ان زرتني زرتك وهم
يريدون ان تزرني ازرك قالوا لما تزرني ازرك وهم يريدون
لما زرتني زرتك وانشدوا في دخول الماضي في جواب ان في قول
الشاعر ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا مني وما يسمعوا من صالح دفنوا
وقول الاخر في دخول المستقبل جوابا للماضي

وميعاد قوم ان ارادوا لقانا بجمع منى ان كان للناس مجمع
يزروا اخا حيا لم يزر الناس مثله تشير لهم عين اليه واصبع
ويمكن في هذا جواب اخر وهو ان يجعل يجادلنا حالا لا جوابا
للفظة لما ويكون المعنى ان البشرى جاءته في حال الجدال المرسل
فان قيل فاين جواب لما على هذا الوجه قلنا يمكن ان يقدره
في احد موضعين اما في قوله تعالى ان ابرهيم لحليم اواه منيب
ويكون التقدير فلما ان ابرهيم كذلك والموضع الاخر ان يكون
اراد تعالى فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم
لوط ناديناه يا ابرهيم فجواب لما هو ناديناه وان كان محذوفا ودل
عليه لفظ النداء وكل هذا جائز

مسئلة

ان قيل اليس قد حكى الله تعالى عن ابرهيم عليه السلم قوله
لقومه اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وظاهر هذا

القول يقتضي انه تعالى خلق اعمال العباد فما الوجه فيه وما عذر
ابرهيم عليه السلم في اطلاقه

الجواب

قلنا من تامل هذه الاية حق التامل علم ان معناها خلاف ما ظنه
المجبرة لانه تعالى خبر عن ابرهيم صلى الله عليه بانه عيّر قومه بعبادة
الاصنام واتخاذها الهة من دون الله تعالى بقوله اتعبدون ما تنحتون
وانما اراد المنحوت وما حله النحت دون عملهم الذي هو فعلهم في الاجسام
وانما كانوا يعبدون الاجسام انفسها ثم قال والله خلقكم وما تعملون
وهذا الكلام لابد من ان يكون متعلقا بالاول ومتضمنا لما يقتضي
المنع من عبادة الاصنام ولا يكون بهذه الصفة الا والمراد بقوله وما
تعملون الاصنام التي كانوا ينحتونها وكانه تعالى قال كيف تعبدون
ما خلقه الله تعالى كما خلقكم وليس لهم ان يقولوا ان الكلام الثاني
قد تعلق بالاول على خلاف ما قدرتموه لانه اراد ان الله خلقكم وخلق
اعمالكم فقد تعلق الثاني بالاول لان من خلقه الله تعالى لا يجوز ان يعبد

غيره وذلك انه لو اراد ما ظنوه لكفى ان يقول والله خلقكم ويصير
ما ضمه الى ذلك من قوله تعالى وما تعملون لغوا لا فايدة فيه ولا تعلق
له بالاول ولا تاثير في المنع من عبادة الاصنام فصح انه اراد تعالى
ما ذكرناه من المعمول فيه لتطابق قوله اتعبدون ما تنحتون فان قالوا
فلم عدلتم عن الظاهر في قوله وما تعملون لان هذه اللفظة لا تستعمل
على سبيل الحقيقة الا في العمل دون المعمول فيه ولهذا يقولون اعجبني
ما تعمل وما يفعل مكان قولهم اعجبني عملك وفعلك
قيل لهم ليس نسلم لكم ان الظاهر ما ادعيتموه لان هذه اللفظة
قد تستعمل في المعمول فيه والعمل على حد واحد بل استعمالها في المعمول
فيه اظهر واكثر الا ترى انه تعالى قال في العصا تلقف ما يافكون
وفي اية اخرى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا ومعلوم انه لم يرد بها
تلقف اعمالهم التي هي الحركات والاعتمادات وانما اراد انها تلقف
الحبال وغيرها مما حله الافك وقد قال الله تعالى يعملون له ما يشاء من

محارب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات فيسمي المعمول
فيه عملا ويقول القايل في الباب انه عمل النجار ومما عمل النجار
وكذلك في الناسخ والصايغ وهاهنا مواضع لا تستعمل فيها
ما مع الفعل الاول المراد بها الاجسام دون الاعراض التي هي فعلنا
لان القايل اذا قال اعجبني ما ناكل وما نشرب وما نلبس لم يحمله
الا على الماكول والمشروب والملبوس دون الاكل والشرب واللبس
فصح ان اللفظة فيما ذكرناه اشبه بان تكون حقيقة وفيما ذكروه اشبه
بان تكون مجازا ولو لم يثبت فيها الا انها مشتركة بين الامرين
وحقيقة فيهما لكان كافيا في اخراج الظاهر من ايديهم وابطال
ما يتعلقوا به وليس لهم ان يقولوا كل موضع استعملت فيه لفظة
ما مع الفعل واريد بها المفعول فيه انما علم بدليل والظاهر بخلافه
وذلك انه لا فرق بينهم في هذه الدعوى وبين من عكسها فادعى
ان لفظة ما اذا استعملت مع الفعل واريد بها المصدر دون المفعول

فيه كانت محمولة على ذلك بالدليل وعلى سبيل المجاز والظاهر
خلافه على ان التعليل وتعلق الكلام الثاني بالاول على ما بيناه ايضا
ظاهر يجب ان يكون مراعى وقد بينا انه متى حمل الكلام على ما ظنوه لم يكن
الثاني متعلقا بالاول ولا تعليلا فيه والظاهر يقتضي ذلك
فقد صار فيما ادعوه عدول عن الظاهر لو سلم ما ادعوه من الظاهر
في معنى اللفظة معه لتعارضا فكيف وقد بينا انه غير مسلم
ولا صحيح وبعد فان قوله وما تعملون لا يستقل بالفايدة
بنفسه ولا بد من ان يقدر محذوفا يرجع الى ما التي هي بمعنى الذي
وليس لهم ان يقدروا الهاء ليستقيم ما ادعوه باولى منا اذا قدرنا لفظة
فيه لان كلا الامرين محذوف وليس تقدير احدهما باولى من الاخر
الا بدليل هذا على انا قد بينا ان مع تقدير الهاء يكون الكلام محتملا
لما ذكرناه كاحتماله لما ذكروه ومع تقديرنا الذي بيناه يكون
الكلام مختصا غير مشترك فصرنا بالظاهر اولى منهم وصار المعنى

الذي ذهبنا اليه الحجاز على مذهبهم على ان معنى الاية والمقصود بها
يدل على ما ذكرناه حتى انا لو قدرنا ما ظنه المخالف لكان ناقضا للغرض
في الاية ومبطلا لفايدتها لانه تعالى خبر عن ابرهيم عليه السلم بانه قرعهم
ووبخهم بعبادة الاصنام واحتج عليهم بما يقتضي العدول عن عبادتها
ولو كان مراده بالاية ما ظنوه من انه خلقهم وخلق اعمالهم وقد علمنا ان
عبادتهم للاصنام من جملة اعمالهم فكانه قال والله خلقكم وخلق عبادتكم
للاصنام لوجب ان يكون عاذرا لهم ومزيلا للوم عنهم لان الانسان
لا يذم على ما خلق فيه ولا يعاتب ولا يوبخ ۝ وبعد فلو حملنا الاية
على ما توهموه لكان الكلام متناقضا من وجه اخر لانه قد اضاف
العمل اليهم بقوله وما تعملون وذلك يمنع من كونه خلقا لله تعالى
لان العامل للشي هو من احدثه واخرجه من العدم الى الوجود والخالق
في هذا الوجه لا يفيد الا هذا المعنى فكيف يكون خالقا ومحدثا لما
احدثه غيره وعمله على ان الخلق اذا كان التقدير في اللغة فقد يكون

مقدورًا

الخالق خالقا لفعل غيره اذا كان مقدرا له ومدبرا ولهذا يقولون
خلق الاديم فمن قدره ودبره وان كان ما احدث الاديم نفسه فلو حملنا
قوله وما تعملون على اعمالهم دون ما فعلوا فيه من الاجسام لكان الكلام
على هذا الوجه صحيحا ويكون المعنى والله دبركم ودبر اعمالكم وان لم يكن
محدثا لها وفاعلا وكل هذه الوجوه واضح لا اشكال فيه بحمد الله

يعقوب بن اسحق بن ابرهيم
عليه السلم

مسئله

فان قيل فما معنى تفضيل يعقوب ليوسف عليه السلم على اخوته
في البر والتقريب والمحبة حتى اوقع بذلك التحاسد بينهم وبينه وافضى
الى الحال المكروه التي نطق بها القران حتى قالوا على ما حكاه الله
تعالى عنهم ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال

مبين ونسبوه الى الضلال والخطإ وليس لكم ان تقولوا ان يعقوب عليه
السلم لم يعلم بذلك من حالهم قبل ان يكون منه التفضيل ليوسف
عليه السلم لان ذلك لا بد من ان يكون معلوما من حيث كان
في طباع البشر التنافس والتحاسد

الجواب

قيل له ليس فيما نطق به القران ما يدل على ان يعقوب عليه السلم
فضله بشي من فعله وواقع من جهته لان المحبة التي هي ميل الطباع
ليست مما يكتسبه الانسان ويختاره وانما ذلك موقوف على
فعل الله تعالى فيه ولهذا ما يكون للرجل عدة اولاد فيحب احدهم
دون غيره وربما كان المحبوب دونهم في الجمال والكمال وقد قال الله
تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسآء ولو حرصتم وانما اراد
ما بيناه من ميل النفس الذي لا يمكن الانسان ان يعدل فيه بين
نسائه لان ما عدا ذلك من البر والعطا والتقريب وما اشبهه تستطيع

الانسان ان يعدل بين النسآ فيه فان قيل فكانكم نفيتم عن يعقوب
عليه السلم القبيح والاستفساد واضفتموها الى الله تعالى فما الجواب
عن المسلة على هذا الوجه قلنا عنها جوابان احدهما انه
لا يمتنع ان يكون الله تعالى علم ان اخوة يوسف عليه السلم سيكون
منهم ذلك التحاسد والفعل القبيح على كل حال وان لم يفضل يوسف
عليه السلم عليهم في محبة ابيه له وانما يكون ذلك استفسادا
اذا وقع عنده الفساد وارتفع عند ارتفاعه ولم يكن تمكينا

والجواب الاخر

ان يكون ذلك جاريا مجرى التمكين والتكليف الشاق لان هولا
الاخوة متى امتنعوا من حسد اخيهم والبغي عليه والاضرار به وهو
غير مفضل عليهم ولا مقدم لا يستحقون من الثواب ما يستحقونه
اذا امتنعوا من ذلك مع التقدم والتفضيل فاراد الله تعالى منهم
ان يمتنعوا على هذا الوجه الشاق واذا كان مكلفا على هذا الوجه

فلا انتقاد في ميله بطباع ابيهم الى محبة يوسف عليهما
السلم لان بذلك ينتظم هذا التكليف ويجري هذا الباب مجرى
خلق ابليس مع علمه تعالى بضلال من ضل عند خلقه ممن لو لم
يخلقه لم يكن ضالا وتجري زيادة الشهوة فيمن يعلم تعالى عند هذه
الزيادة انه يفعل قبيحا لولاها لم يفعله م

وجه اخر في الجواب

عن اصل المسئلة ٥

وهو انه يجوز ان يكون يعقوب عليه السلم كان مفضلا ليوسف
عليه السلم في العطا والتقريب والترحيب والبر الذي يصل اليه
من جهته وليس ذلك بقبيح لانه لا يمتنع ان يكون يعقوب عليه
السلم لم يعلم ان ذلك يؤدي الى ما ادى اليه ويجوز ان يكون راى
من سيرة اخوته وسدادهم وجميل ظاهرهم ما غلب في ظنه انهم لا
يحسدونه وان فضله عليهم فان الحسد وان كان كثيرا ما يكون في

الطباع فان كثيرا من الناس يتنزهون عنه ويجتنبونه ويظهر من احوالهم
امارات يظن معها بهم ما ذكرناه وليس التفضيل لبعض الاولاد على
بعض في العطا محاباة لان المحاباة هي مفاعلة من الحباء ومعناها ان يحبوا
غيرك ليحبوك وهذا خارج عن معنى التفضيل بالبر الذي لا يقصد به
الى ما ذكرناه م فاما قولهم ان ابانا لفي ضلال مبين فلم يريدوا به الضلال
عن الدين وانما ارادوا بالذهاب عن التسوية بينهم في العطية لانهم
راوا ان ذلك اصوب في تدبيرهم واصل الضلال هو العدول وكل
من عدل عن شي وذهب عنه فقد ضل م وقد يجوز ايضا ان يريدوا
بذلك الضلال عن الدين لانهم خبروا عن اعتقادهم وقد يجوز ان
يعتقدوا في الصواب الخطا فان قيل كيف يجوز ان يقع من
اخوة يوسف عليه السلم هذا الخطا العظيم والفعل القبيح وقد كانوا
انبيا فان قلتم لم يكونوا انبيا في الحال قيل لكم واي منفعة في ذلك لكم
وانتم تذهبون الى ان الانبيا عليهم السلم لا يواقعون القبايح قبل النبوة

ولا بعدها قلنا لم تقم حجة بان اخوة يوسف عليه السلم الذين
فعلوا به ما فعلوا كانوا انبيآء في حال من الاحوال واذا لم تقم بذلك
حجة جاز على هولآء الاخوة من فعل القبيح ما يجوز على كل مكلف
لم تقم حجة بعصمته وليس لاحد ان يقول كيف تدفعون نبوتهم
والظاهر ان الاسباط من بني يعقوب عليه السلم كانوا انبيآء لانه
لا يمتنع ان يكون الاسباط الذين كانوا انبيآء غير هولآء الاخوة الذين
فعلوا بيوسف عليه السلم ما قصه الله تعالى عنهم وليس في
ظاهر الكتاب بان جميع اخوة يوسف عليه السلم وسائر اسباط
يعقوب عليه السلم كادوا يوسف عليه السلم بما حكاه الله تعالى
من الكيد وقد قيل ان هولآء الاخوة في تلك الحال لم يكونوا
بلغوا الحلم ولا توجه اليهم التكليف وقد يقع ممن قارب البلوغ
من الغلمان مثل هذه الافعال وقد يلزمهم بعض العتاب واللوم وان
ثبت هذا الوجه سقطت المسئلة ايضا مع تسليم ان هولآء الاخوة
كانوا

كانوا انبيآء في المستقبل

مسئلة

فان قال فلم ارسل يعقوب عليه السلم يوسف مع اخوته مع خوفه
عليه منهم وقوله واخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون وهل
هذا الا تغرير به ومخاطرة

الجواب

قيل له ليس يمتنع ان يكون يعقوب عليه السلم لما راى من بنيه ما
راى من الايمان والعهود والاجتهاد في الحفظ والرعاية لاخيهم ظن
مع ذلك السلامة فقوي في نفسه ان يرسله معهم اشفاقه
من ايقاع الوحشة والعداوة بينهم لانهم اذا لم يرسله معهم مع الطلب
منهم والحرص علموا ان سبب ذلك هو التهمة لهم والخوف من ناحيتهم
فاستوحشوا منه ومن يوسف عليهما السلم وانضاف هذا الداعي
الى ما ظنه من السلامة والنجاة فارسله

مسئلة

فان قال فما معنى قولهم ليعقوب عليه السلم وما انت بمؤمن لنا ولو كنا

صادقين وكيف يجوز ان ينسبوه الى انه لا يصدق الصادق ويكذبه

الجواب

انهم انما علموا على مرور الايام بشدة تهمة ابيهم لهم وخوفه على اخيهم منهم لما كان يظهر منهم من امارات الحسد والنفاسة ايقنوا بانه يكذبهم فيما اخبروه به من اكل الذئب اخاهم فقالوا له انك لا تصدقنا في هذا الخبر لما سبق الى قلبك من تهمتنا وان كنا صادقين وقد يفعل مثل ذلك المخادع الماكر اذا اراد ان يوقع في قلب من يخبره بالشيء صدقه فيقول له انا اعلم انك لا تصدقني في كذا وكذا وان كنت صادقا وهذا بين

مسئلة

فان قال فلم اسرف يعقوب عليه السلم في الحزن والتهالك وترك التماسك حتى ابيضت عيناه من البكاء ومن شان الانبياء عليهم السلم التجلد والصبر وتحمل الاثقال ولهذه الحال عظمت محنتهم وارتفعت درجاتهم

الجواب

قيل له ان يعقوب عليه السلم بلي وامتحن في ابنه عليهما السلم بما لم يمتحن به احد قبله لان الله تعالى رزقه من يوسف عليه السلم احسن الناس واجملهم واكملهم علما وفضلا وادبا وعفافا ثم اصيب به اعجب مصيبة واطرفها لانه لم يمرض بين يديه مرضا يؤول الى الموت فيسليه عنه تمريضه له ثم يايسه منه بالموت بل فقده فقدا لا يقطع معه على الهلاك فيايس ولا يجد امارة على حياته فيرجوه بطمع وكان متردد الفكر بين ياس وطمع وهذا اغلظ ما يكون على الانسان وانكأ لقلبه وقد يرد على الانسان من الحزن ما لا يملك رده ولا يقوى على دفعه ولهذا لم يكن احد منهيا عن مجرد الحزن والبكا وانما نهي عن اللطم والنوح وان يطلق لسانه بما يسخط ربه وقد بكا نبينا صلى الله عليه واله على ابنه ابرهيم عليه السلم عند وفاته وقال عليه السلم العين تدمع والقلب يخشع ولا نقول ما يسخط الرب وهو عليه السلم انما ابدا من حزنه يسيرا من كثير وكان ما يخفيه ويتصبر

عليه ويغالبه اكثر واوسع مما اظهره وبعد فان التجلد على
المصائب وكظم الحزن من المندوب اليه وليس بواجب لازم
وقد يعدل الانبيا عليهم السلم عن كثير من المندوبات الشاقة
وان كانوا يفعلون من ذلك كثيرا

مسئلة

فان قيل كيف لم يسل يعقوب عليه السلم ويخفف عنه
الحزن ما يخففه من رؤيا ابنه يوسف عليه السلم ورؤيا الانبيا
عليهم السلم لا تكون الا صادقة

الجواب

قيل له عن ذلك جوابان احدهما ان يوسف عليه السلم
راى تلك الرؤيا وهو صبي غير نبي ولا موحى اليه فلا وجه في تلك
الحال للقطع على صدقها وصحتها والاخر ان اكثر ما في هذا الباب
ان يكون يعقوب عليه السلم قاطعا على بقا ابنه عليه السلم وان الا مر

سيؤول فيه الى ما تضمنته الرؤيا وهذا لا يوجب نفي الحزن والجزع لانا
نعلم ان طول المفارقة واستمرار الغيبة تقتضيان الحزن مع القطع
على ان المفارقة باق الجواز ان تؤول حاله الى القدوم وقد جزع الانبيا
عليهم السلام ومن جرى مجراهم من المؤمنين المطهرين من مفارقة
اولادهم واحبابهم مع يقينهم بالالتقاء بهم في الاخرة والحصول معهم
في الجنة والوجه في ذلك ما ذكرناه

يوسف بن يعقوب عليه السلم

فان قال كيف صبر يوسف عليه السلم على العبودية ولم لم
ينكرها ويتبرأ من الرق وكيف يجوز على نبي الصبر على ان يستعبد
ويسترق

الجواب

قيل له ان يوسف عليه السلم لم يكن في تلك الحال نبيا على ما قاله
كثير من الناس ولما خاف على نفسه القتل جاز ان يصبر على الاسترقا ق

ومن ذهب الى هذا الوجه تاول قوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا وهم لا يشعرون على ان الوحي لم يكن في تلك الحال
بل كان في غيرها ويصرف ذلك الى الحال المستقبلة ليجمع على
انه كان بها نبيا

وجه اخر

وهو ان الله تعالى لا يمتنع ان يكون امره بكتمان امره والصبر على
مشقة العبودية امتحانا وتشديدا في التكليف كما امتحن
ابويه ابرهيم واسحق عليهما السلم احدهما بنمرود والاخر
بالذبح ٥

وجه اخر

وهو انه يجوز ان يكون عليه السلم قد خبرهم بانه غير عبد
وانكر عليهم ما فعلوه من استرقاقه الا انهم لم يسمعوا منه ولا
اصغوا الى قوله عليه السلم وان لم ينقل ذلك فليس كلما
جرى في تلك الحال الا زمان قد انصل بنا

وجه اخر

وهو ان قوما قالوا انه خاف القتل فكتم امر نبوته وصبر على
العبودية وهذا الجواب فاسد لان النبي لا يجوز ان يكتم ما ارسل به
خوفا من القتل لانه يعلم ان الله لم يبعثه للاداء الا وهو عاصم له من القتل
حتى يقع الاداء وتسمع الدعوة والا كان ذلك نقضا للغرض

مسئلة

فان قيل فما تاويل قوله تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام
وامراة العزيز ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه كذلك
ليصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين ٥

الجواب

ان الهم في اللغة ينقسم الى وجوه منها العزم على الفعل كقوله تعالى
اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم اي ارادوا
ذلك وعزموا عليه قال الشاعر ٥
هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمن تبكي حلايله

ومثله قول الخنساء

وفضل مرداس على الناس حلمه وان كل هم همه فهو فاعله

ومثله قول حاتم الطائي

ولله صعلوك يساور همه ويمضي على الايام والدهر مقدما

ومن وجوه الهم خطور الشي بالبال وان لم يقع العزم عليه قال الله تعالى اذ همت طايفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وانما اراد تعالى ان الفعل خطر بالهم ولو كان الهم في هذا المكان عزما لما كان الله وليهما لانه تعالى يقول ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير وارادة المعصية والعزم عليها معصية وقد تجاوز ذلك قوم حتى قالوا ان العزم على الكبير كبير وعلى الكفر كفر ولا يجوز ان يكون الله تعالى ولي من عزم على الفرار عن نصرة نبيه عليه السلم وابلاه الى السو ومما يشهد ايضا بذلك قول

كعب بن زهير

فكم فيهم من سيد متوسع ومن فاعل للخير ان هم او عزم

ففرق كما ترى بين الهم والعزم وظاهر التفرقة يقتضي اختلاف المعنى ومن وجوه الهم ان يستعمل بمعنى المقاربة فيقولون هم بكذا او كذا اي كاد ان يفعله قال ذو الرمة

اقول لمسعود بجرعا مالك وقد هم دمعي ان يلج اوائله

والدمع لا يجوز عليه العزم وانما اراد كاد وقارب وقال ابو الاسود الدؤلي

وكنت متى تهمم يمينك مرة لتفعل خيرا تقتفيها شمالكا

وعلى هذا خرج قوله تعالى جدارا يريد ان ينقض اي يكاد وقال الحارثي

يريد الرمح صدر ابي براء ويرغب عن دماء بني عقيل

ومن وجوه الهم الشهوة وميل الطباع لان الانسان قد يقول فيما

يشتهيه ويميل طبعه اليه ليس هذا من همي وهذا اهم الاشيا الي
والتجوز باستعمال الهمة مكان الشهوة ظاهر في اللغة وقد
روي هذا التاويل عن الحسن البصري قال اما همها كان اخبث
الهم واما همه فما طبع عليه الرجال من شهوة النساء واذا
كانت وجوه هذه اللفظة مختلفة متسعة على ما ذكرناه
نفينا عن نبي الله ما لا يليق به وهو العزم على القبيح واخترنا
باقي الوجوه لان كل واحد منها يليق بحاله عليه السلام فان
قيل فهل يسوغ حمل الهم في الاية على العزم والارادة ويكون
مع ذلك له وجه صحيح يليق بالنبي عليه السلام قلنا نعم
متى حملنا الهم ها هنا على العزم جاز ان يعلقه بغير القبيح
ويجعله متناولا لضربها او لدفعها عن نفسه كما يقول القائل
قد كنت هممت بفلان اي بان اوقع به ضربا او مكروها
فان قيل فاي فايدة على هذا التاويل في قوله تعالى لولا ان راى

برهان ربه والدفع لها عن نفسه طاعة لا يصرف البرهان عنها
قلنا يجوز ان يكون لما هم بدفعها او ضربها اراه الله تعالى برهانا
على انه ان اقدم على ما هم به اهلكه اهلها وقتلوه او انها تدعي عليه
المراودة على القبيح وتقرفه بانه دعاها اليه وضربها لامتناعها منه
فاخبر الله تعالى انه صرف بالبرهان عنه السوء والفحشاء اللذين هما
القتل والمكروه او ظن القبيح به واعتقاده فيه فان قيل
هذا الجواب يقتضي ان جواب لفظة لولا يتقدمها في ترتيب الكلام
ويكون التقدير لولا ان راى برهان ربه لهم بضربها وتقدم جواب لولا
قبيح او يقتضي ان تكون لولا بغير جواب قلنا اما تقدم جواب لولا
فجايز مستعمل وسنذكر ذلك فيما نستانفه من الكلام عند الجواب
المختص بذلك ونحن غير مفتقرين اليه في جوابنا هذا لان العزم على
الضرب والهم به قد وقع الا انه انصرف عنه بالبرهان الذي راه ويكون
تقدير الكلام والجملة ولقد همت به وهم بدفعها لولا ان راى برهان

ربه لفعل ذلك فالجواب المتعلق بلولا محذوف من الكلام كما حذف الجواب
في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم
معناه ولولا فضل الله عليكم لهلكتم ومثله كلا لو تعلمون علم
اليقين لترون الجحيم معناه لو تعلمون علم اليقين لما تنافسوا في الدنيا
وتحرصوا على حطامها وقال امرؤ القيس
فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا
اراد فلو انها نفس تموت لتقضت وفنيت فحذف الجواب تعويلا
على ان الكلام يقتضيه ويتعلق به على ان حمل هذه الاية على الوجه
الذي يليق بنبي الله عليه السلام واضاف العزم على المعصية اليه لابد
له من تقدير محذوف ويكون التقدير على تأويله ولقد همت بالزنا
وهم بمثله لولا ان راى برهان ربه لفعله فان قيل متى علقتم
العزم في الاية والهم بالضرب والدفع كان ذلك مخالفا للظاهر
قلنا ليس الامر على ما ظنه هذا السائل لان الهم في ظاهر الاية متعلق

بما لا يصح ان يتعلق به العزم والارادة على الحقيقة لانه تعالى قال ولقد
همت به وهم بها فعلق الهم في ظاهر الكلام بذواتهما والذوات
الموجودة الباقية لا يصح ان تراد ويعزم عليها فلا بد من تقدير امر
محذوف يتعلق العزم به مما يرجع اليهما ويختصان به ورجوع
الضرب والدفع اليهما كرجوع ركوب الفاحشة ولا ظاهر
للكلام يقتضي خلاف ما ذكرناه الا ترى ان القائل اذا قال قد
هممت بفلان فظاهر الكلام يقتضي تعلق عزمه وهمه بامر يرجع
الى فلان وليس بعض الافعال بذلك اولى من بعض وقد يجوز ان يريد
انه هم بقصده او باكرامه او اهانته او غير ذلك من ضروب الافعال
على انه لو كان للكلام ظاهر يقتضي خلاف ما ذكرناه وان كنا قد بينا
ان الامر بخلاف ذلك لجاز ان نعدل عنه ونحمله على خلاف الظاهر
للدليل العقلي الدال على تنزيه الانبياء عليهم السلام عن القبائح فان
قيل الكلام في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها اخرج مخرجا

واحد افلم جعلتم همها به متعلقا بالقبيح وهمه بها متعلقا بالضرب
او الدفع على ما ذكرتموه. قلنا اما الظاهر فلا يدل على الامر
الذي تعلق به الهم والعزم منهما جميعا وانما اثبتنا همها به متعلقا
بالقبيح لشهادة الكتاب والآثار بذلك وهي ممن يجوز عليها
فعل القبيح ولم يؤمن دليل من جوازه عليها كما امن ذلك فيه عليه
السلام والموضع الذي يشهد بذلك من الكتاب قوله تعالى وقال
نسوة في المدينة امراة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها
حبا انا لنراها في ضلال مبين. وقوله تعالى حاكيا عنها الآن
حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وفي موضع
آخر فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
والآثار واردة باطباق مفسري القرآن ومتاوليه على انها همت
بالمعصية والفاحشة واما هو عليه السلام فقد تقدم من الادلة
العقلية ما يدل على انه لا يجوز ان يفعل القبيح ولا يعزم عليه وقد

استقصينا ذلك في صدر هذا الكتاب. فاما ما يدل من القرآن على
انه عليه السلام ما هم بالفاحشة وما عزم عليها فمواضع كثيرة
منها قوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقوله تعالى
ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب ولو كان الامر على ما قاله الجهال من
جلوسه منها مجلس الخاتن وانتهائه الى حل السراويل حاشى من ذلك
لم يكن السوء والفحشاء منصرفين عنه ولكان خائنا بالغيب. وقوله
تعالى حاكيا عنها ولقد راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين
وقول العزيز لما راى القميص قد من دبر انه من كيدكن ان كيدكن
عظيم ونسب الكيد الى المراة دونه. وقوله تعالى حاكيا عن نفس
زوجها لما وقف على ان الذنب منها وبراءة يوسف عليه السلام منه
يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين
وعلى مذهبهم الفاسد كل واحد منهما خاطئ يجب ان يستغفر
فلم خصت بالاستغفار دونه. وقوله تعالى رب السجن احب الي

مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين
فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن والاستجابة تؤذن ببراءته
من كل سوء وتنبئ انه لو فعل ما ذكروه لكان قد صبا ولم يصرف
عنه كيدهن وقوله تعالى قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء والعزم
على المعصية من اكبر السوء وقوله تعالى حاكيا عن الملك ايتوني به
استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين ولا
يقال ذلك فيمن فعل ما ادعوه عليه فان قيل فاي معنى
لقول يوسف عليه السلم وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة
بالسوء قلنا انما اراد الدعاء والمنازعة والشهوة ولم يرد العزم
على المعصية وهو لا يبرئ نفسه مما لا تعرى منه طباع البشر
وفي ذلك جواب اخر اعتمده ابو علي الجبائي واختاره وان كان قد سبق
اليه جماعة من اهل التاويل وذكروه وهو ان هذا الكلام الذي هو
وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء انما هو من كلام المراة لا من

كلام يوسف عليه السلم واستشهدوا على صحة هذا التاويل بانه منسوق
على الكلام المحكي عن المراة بلا شك الا ترى انه تعالى قال قالت امراة
العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك
ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي
فنسق الكلام على كلام المراة وعلى هذا التاويل يكون التبري من الخيانة
الذي هو ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب كلام المراة لا كلام يوسف عليه
السلم ويكون المكنى عنه في قولها لم اخنه بالغيب هو يوسف عليه
السلم دون زوجها لان زوجها قد خانته في الحقيقة بالغيب وانما
ارادت اني لم اخن يوسف عليه السلم وهو غايب في السجن ولم اقل فيه
لما سئلت عن قصتي معه الا الحق ومن جعل ذلك من كلام يوسف
عليه السلم جعله محمولا على اني لم اخن العزيز في زوجته بالغيب وهو
الجواب وكانه اشبه بالظاهر لان الكلام معه لا ينقطع عن انتظامه
وانتظامه فان قيل فاي معنى لبحثه اذا كان عند القوم متبريا

من المعصية منزهًا عن الخيانة قلنا قد قيل ان العلة في ذلك
البشرى على المراة والتنويه لامرها حتى لا تفتضح وينكشف امرها
لكل احد من الناس والذي يشهد بذلك قوله تعالى ثم بدا لهم من بعد
ما راوا الايات ليسجننه حتى حين **وجواب اخر**
في الاية ان الهم منها هو العزم وهو ان يحمل الكلام على التقديم
والتاخير ويكون التخصيص ولقد همت به لولا ان راى برهان ربه لهم
بها ويجري ذلك مجرى قولهم قد كنت هلكت لولا ان تداركتك
وقتلت لولا اني خلصتك والمعنى لولا تداركي لهلكت ولولا
تخليصي لقتلت وان لم يكن وقع هلاك ولا قتل قال الشاعر

فلا تدعني قومي صريحًا لحرة لئن كنت مقتولا ويسلم عامر

وقال آخر

فلا تدعني قومي صريحا لحرة لئن لم اعجل طعنة او اعجل

فقدم جواب لئن في البيتين جميعا وقد استبعد قوم تقديم جواب لولا

عليها فقالوا لو جاز ذلك لجاز قولهم قام زيد لولا عمرو وقصدتك
لولا بكر وقد بينا انما اوردناه من الامثلة والشواهد جواز تقديم
جواب لولا وان القائل قد يقول قد كنت قمت لولا كذا وكذا وقد
كنت قصدتك لولا ان صدني فلان وان لم يقع قيام ولا قصد وهذا هو الذي
يشبه الاية دون ما ذكروه من المثال وبعد فان في الكلام شرطا وهو
قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه فكيف يحمل على الاطلاق مع
حصول الشرط وليس لهم ان يجعلوا جواب لولا نعلم من حذفه جملة
من الكلام واذا جاز عندهم الحذف لئلا يلزم تقديم الجواب جاز
لغيرهم تقديم الجواب حتى لا يلزم الحذف فان قيل فما البرهان
الذي راه يوسف عليه السلم حتى انصرف لاجله على المعصية
وهل يصح ان يكون البرهان ما روي من ان الله تعالى اراه صورة
ابيه يعقوب عليه السلم عاضا على اصبعه متوعدًا له على
مقارفة المعصية او ان يكون ما روي من ان الملائكة عليهم السلم نادته

بالنهي والزجر في الحال ع قلنا ليس يجوز ما ظنته العامة من الامرين اللذين
ذكرناهم لان ذلك يقتضي الالجاء وينافي التكليف ويضاد المحنة ولو
كان الامر على ما ظنوه لما كان يوسف عليه السلم يستحق تنزهه
عما دعته اليه المراة من المعصية مدحا ولا ثوابا وهذا من قبيح القول
فيه عليه السلم لان الله عز وجل قد مدحه بالامتناع من المعصية واثنى
عليه بذلك فقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشا انه من
عبادنا المخلصين ع فاما البرهان فيحتمل ان يكون لطفا لطفه الله له
به في تلك الحال وقبلها اختار عنده الامتناع عن المعاصي والتنزه
عنها وهو الذي يقتضي كونه معصوما لان العصمة هي ما اختار عنده
من الالطاف التنزه عن القبيح والامتناع من فعله ع ويجوز ان يكون
الروية هاهنا بمعنى العلم كما يجوز ان يكون بمعنى الادراك لان كلى
الوجهين يحتمله القول ع وذكر اخرون ان البرهان هاهنا انما هو
دلالة الله تعالى ليوسف عليه السلم على تحريم الفعل وعلى ان من فعله

استحق العقاب لان ذلك ايضا صارف عن الفعل ومقوي لداعي الامتناع
منه وهذا ايضا جائز ع

مسئلة

فان قيل كيف يجوز ان يقول يوسف عليه السلم رب السجن احب الي مما
يدعونني اليه ونحن نعلم ان سجنهم له معصية كما ان ما دعوه اليه معصية
ومحبة المعصية عندكم لا تكون الا قبيحة ع

الجواب ع

قلنا في تأويل هذه الاية جوابان احدهما انه اراد بقوله احب الي اخف
علي واسهل ولم يرد المحبة التي هي الارادة على الحقيقة وهذا يجري مجرى
ان يخير احدنا بين فعلين يكرههما ويشقان عليه فيقول في الجواب
كذا احب الي وانما يريد ما ذكرناه من السهولة والخفة ع والجواب الاخر
انه اراد ان توطيني نفسي وتصبيري لها على السجن احب الي من مواقعة المعصية
فان قيل هذا خلاف الظاهر لانه مطلق وقد اضمرتم فيه ع قلنا
لابد من مخالفة الظاهر لان السجن نفسه لا يجوز ان يكون مرادا ليوسف

عليه السلم فكيف يريده وانما السجن البيان المخصوص وانما يكون
للكلام ظاهر يخالف ما قلناه اذا قرئ رب السجن بفتح السين وان
كانت هذه القراءة ايضا محتملة للمعنى الذي ذكرناه فكانه اراد ان سجن
نفسي عن المعصية احب الي من مواقعتها فرجع معنى السجن الى فعله
دون فعلهم واذا كان الامر على ما ذكرناه فليس لاحد ان يضم في
الكلام ان كوني في السجن وجلوسي فيه احب الي واولى من اضمر ما
ذكرناه لان كلا الامرين يعود الى السجن ويتعلق به فان قيل كيف
يقول السجن احب الي مما يدعونني اليه وهو لا يحب ما يدعوه اليه
على وجه من الوجوه ومن شان هذه اللفظة ان تستعمل بين شيئين
مشتركين في معناهما قلنا قد تستعمل هذه اللفظة فيما لا
اشتراك فيه الا ترى ان من خير بين ما يكرهه وما سائغ ان يقول
هذا احب الي من هذا وان لم يجز ان يقول ذلك مبتديا من غير ان يخير هذا
احب الي من هذا اذا كانا لا يشتركان في محبته وانما يسوغ ذلك على

احد الوجهين دون الاخر ان المخير من شيئين في الاصل لا يخير بينهما
الا وهما مرادان له او مما يصح ان يريدهما فموضع التخيير يقتضي ذلك
وان حصل فيما يخالف اصل موضوعه فمن قال وقد خير بين شيئين
لا يحب احدهما هذا احب الي انما يكون مجيبا بما يقتضيه اصل
الموضوع في التخيير ويقارب ذلك قوله تعالى قل اذلك خير ام
جنة الخلد ونحن نعلم انه لا خير في العقاب وانما حسن القول
لوقوعه موقع التوبيخ والتقريع على اختيار المعاصي على الطاعات
وانهم ما اثروها الا لاعتقادهم ان فيها خيرا ونفعا فقيل اذلك خير
على ما يظنونه ويعتقدونه ام كذا وكذا وقد قال قوم في قوله تعالى
ذلك خير انما حسن لاشتراك الحالين في باب المنزلة وان لم يشتركا
في الخير والنفع كما قال تعالى خير مستقرا واحسن مقيلا ومثل هذا
المعنى ياتي في قوله رب السجن احب الي لان الامرين يعني المعصية
ودخول السجن اشتركا وان كل منهما داعيا وعليه باعثا وان اشتركا

في ساوى المحبة فجعل اشتراكهما في دواعي المحبة اشتراكاً في المحبة
نفسها او اجرى اللفظ على ذلك ع فان قيل كيف يقول والا تصرف
عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين وعندكم ان القبيح منه
ليس بمشروط بارتفاع الكيد عنه بل هو ممتنع منه وان وقع الكيد
قلنا انما اراد يوسف عليه السلم انك متى لم تلطف لي بما يدعوني
الى مجانبة الفاحشة وتثبتني على تركها صبوت وهذا منه انقطاع
الى الله تعالى وتسليم لامره وانه لولا معونته ولطفه ما نجا من الكيد
والكلام وان تعلق في الظاهر بالكيد نفسه فقال والا تصرف
عني كيدهن فالمراد به الا تصرف عني ضرر كيدهن لانهن انما اجرين
بالكيد الى مساعدته لهن على المعصية فاذا عصم منها ولطف
له في الانصراف عنها فكان الكيد مصروف عنه من حيث لم يقع
ضرره وما اجري به اليه ولهذا يقال لمن اجرى بكلامه الى غرض لم يقع
ما قلت شيا ولمن فعل ما لا تاثير له ما فعلت شيا ع وهذا بين بحمد الله ع

مسألة

فان قيل كيف يجوز على يوسف عليه السلم وهو نبي مرسل ان يعول
في اخراجه من السجن على غير الله تعالى ويتخذ سواه في ذلك وكيلا في قوله
للذي كان معه اذكرني عند ربك حتى وردت الروايات ان سبب
حبسه انما كان لانه عول على غير الله تعالى ع **الجواب**
قلنا ان محنته عليه السلم اذا كان قبيحا ومنكرا فعليه ان يتوصل
الى ازالته بكل وجه وسبب ويتسبب اليه بكل ما يظن انه يزيله
عنه ويجمع فيه بين الاسباب المختلفة ولا يمتنع على هذا ان يضم
الى دعائه الى الله تعالى ورغبته اليه في خلاصه من السجن ان يقول لبعض
من يظن انه سيؤدي قوله اذكرني ونبه على خلاصي وانما القبيح ان يدع
التوكل ويقتصر على غيره فاما ان يجمع بين التوكل والاخذ بالحزم فهو
الصواب الذي يقتضيه الدين والعقل ويمكن ايضا ان يكون الله سبحانه
اوحى اليه بذلك وامره بان يقول للرجل ما قاله ع **مسألة**

فان قيل فما الوجه في طلب يوسف عليه السلم اخاه من اخوته ثم حبسه
له عن الرجوع الى ابيه عليه السلم مع علمه بما يلحقه عليه من الحزن وهل
هذا الا اضرار به وبابيه عليهما السلم

الجواب

قلنا الوجه في ذلك ظاهر لان يوسف عليه السلم لم يفعل ذلك الا
بوحي من الله تعالى وذلك امتحان منه لنبيه يعقوب عليه السلم وابتلا
لصبره وتعريض للعالي من منزلة الثواب ونظير ذلك امتحانه له عليه
السلم بان صرف عنه خبر يوسف عليه السلم طول تلك المدة حتى ذهب
بصره بالبكا عليه وانما امرهم يوسف عليه السلم بان يلطفوا بابيهم
عليه السلم في ارساله من غير ان يكذبوه او يخدعوه فان قيل
اليس قد قالوا سنراود عنه اباه والمراودة هي الخداع والمكر قلنا
ليس المراودة ما ظننتم بل هي التلطف والتسبب والاحتيال وقد يكون
ذلك من جهة الصدق والكذب جميعا وانما امرهم بفعله على
احسن الوجوه فان خالفوه فلا لوم الا عليهم

مسئلة

فان قيل فما معنى جعل السقاية في رحل اخيه وذلك تعريض منه لاخيه
للتهمة ثم ان مؤذنه نادى بانهم سارقون ولم يسرقوا على الحقيقة

الجواب

قلنا اما جعل السقاية في رحل اخيه فالغرض منه التسبب الى
احتباس اخيه عنده ويجوز ان يكون ذلك بامر الله تعالى وقد روي
انه اعلم اخاه بذلك ليجعله طريقا الى التمسك فقد خرج على هذا
القول من ان يكون مدخلا على اخيه غما وترويعا بما جعله من السقاية
في رحله وليس بمعرض له للتهمة بالسرقة لان وجود السقاية في رحله يحتمل
وجوها كثيرة غير السرقة فليس يجب صرفه اليها الا بدليل وعلى من
صرف ذلك الى السرقة من غير طريق اللوم لتقصيره وتسرعه ولا
ظاهر ايضا وجود السقاية في الرحل يقتضي السرقة لان الاشتراك
في ذلك قائم وقرب هذا الفعل من سائر الوجوه التي تحتملها على
حد واحد فاما نداء المنادي بانهم سارقون فلم يكن بامره عليه السلم

وكيف امر بالكذب وانما نادى بذلك احد القوم لما افتقدوا الصواع
وسبق الى قلوبهم انهم سرقوه وقد قيل ان المراد بانهم سارقون انهم
سرقوا يوسف عليه السلام واوهموا اباه انهم يحفظونه فضيعوه والمنادى
صادق على هذا الوجه ولا يمتنع ان يكون النداء باذنه عليه السلام غير
ان ظاهر القصة واتصال الكلام بعضه ببعض يقتضي ان يكون
المراد بالسرقة سرقة الصواع الذي تقدم ذكره واحس فقده وقد
قيل ان الكلام خارج على معنى الاستفهام وان كان ظاهره ظاهر
الخبر كانه قال انكم لسارقون فاسقط الف الاستفهام كما اسقطت
في مواضع قد تقدم ذكرها في قصة ابراهيم عليه السلام وهذا الوجه فيه
بعض الضعف لان الف الاستفهام لا تكاد تسقط الا في موضع
يكون على سقوطها منه دلالة في الكلام مثل قول الشاعر

كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

مسئلة

فان قيل فما بال يوسف عليه السلام لم يعلم اباه عليه السلام بخبره لتسكن
نفسه ويزول وجده مع علمه بشدة تحرقه وعظم قلقه

الجواب

قلنا في ذلك وجهان احدهما ان ذلك كان له ممكنا وكان عليه قادرا
فاوحى الله تعالى اليه بان يعدل عن اطلاعه على خبره تشديدا للمحنة عليه
وتعريضا للمنزلة الرفيعة في البلوى وله تعالى ان يصعب التكليف
وان يسهله والوجه الآخر انه جائز ان يكون عليه السلام لم يتمكن من ذلك
ولا قدر عليه فلذلك عدل عنه

مسئلة

فان قيل فما قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وكيف يرضى
بان يسجدوا له والسجود لا يكون الا لله تعالى

الجواب

قلنا في ذلك وجوه منها ان يكون تعالى لم يرد بقوله انهم سجدوا
الى جهته بل سجدوا لله تعالى من اجله ولانه تعالى جمع بينهم وبينه
كما يقول القائل انما صليت لوصولي الى اهلي وانما صمت لشفائي

من مرضي وانما يريد من اجل ذلك فان قيل هذا التأويل يفسده قوله تعالى
يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا قلنا ليس هذا
التأويل بمانع من مطابقة الرؤيا المتقدمة في المعنى دون الصورة لانه عليه
السلم لما رأى سجود الكواكب والقمر له كان تأويل ذلك بلوغه ارفع
المنازل واعلى الدرجات ونيله امانيه واغراضه فلما اجتمع مع ابويه
وراه في الحال الرفيعة ونال منه ما يتمناه من اجتماع الشمل كان ذلك
مصدقا للرؤيا المتقدمة فلذلك قال هذا تأويل رؤياي من قبل ولا بد
لمن ينبهم الى انهم سجدوا اليه على الحقيقة ان يجعل ذلك مطابقا
للرؤيا المتقدمة في المعنى دون الصورة لانه قد كان رأى في منامه ان
اخوته وابويه سجدوا له ولا رأى في يقظته الكواكب تسجد له فقد صح
ان التطابق في المعنى دون الصورة ومنها ان يكون السجود لله تعالى
غير انه كان الجهة يوسف عليه السلم ونحوه كما يقال صلى فلان
الى القبلة وللقبلة وهذا لا يخرج يوسف عليه السلم من التعظيم

الا ترى ان القبلة معظمة وان كان السجود لله تعالى نحوها ومنها ان السجود
ليس يكون بمجرده عبادة حتى يضامه من الافعال ما يكون عبادة فلا يمتنع ان
يكون سجدوا له على سبيل التحية والاعظام والاكرام ولا يكون ذلك منكرا
الا انه لم يقع على وجه العبادة التي يختص بها القديم تعالى وكل هذا واضح

مسئلة

فان قيل فما معنى قوله تعالى حكاية عنه عليه السلم من بعد ان نزغ
الشيطان بيني وبين اخوتي وهذا يقتضي ان يكون قد اطاع الشيطان
ونفذ فيه كيده ونزغه

الجواب

قلنا هذه الاضافة لا تقتضي ما تضمنه السؤال بل النزغ والقبيح
كان اليه لا منه اليهم ويجري ذلك مجرى القائل جرى بيني وبين فلان شر
وان كان من احدهما ولم يشتركا فيه

مسئلة

فان قيل فما معنى قوله عليه السلم للعزيز اجعلني على خزائن الارض
اني حفيظ عليم وكيف يجوز ان يطلب الولاية من قبل الظالم

الجواب

قلنا انما التمس تمكينه من خزاين الارض ليحكم فيها بالعدل ويصرفها الى مستحقها وكان ذلك له من غير ولاية وانما سال الولاية ليتمكن من الحق الذي له ان يفعله ومن تمكن من اقامة الحق والامر بالمعروف ان ينسب اليه ويتوصل الى فعله ولا لوم في ذلك على يوسف عليه السلم ولا حرج ه

مسئلة ايوب عليه السلم

فان قيل فما قولكم في الامراض والمحن التي لحقت نبي الله ايوب عليه السلم اوليس قد نطق القران بانها كانت جزاء على ذنب في قوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب والعذاب لا يكون الا جزاء كالعقاب والالام الواقعة على سبيل الامتحان لا تسمى عذابا ولا عقابا اوليس قد روى جميع المفسرين ان الله تعالى انما عاقبه بذلك البلاء لتركه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقصته مشهورة يطول شرحها

م الجواب

قلنا اما ظاهر القران فليس يدل على ان ايوب عليه السلم عوقب بما نزل به من المضار وليس في ظاهره شي مما ظنه السايل لانه تعالى لانه تعالى قال ه واذكر عبدنا ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب والنصب هو التعب وفيه لغتان فتح النون والصاد وضم النون وتسكين الصاد والتعب هو المضرة التي لا تختص بالعقاب وقد يكون على سبيل الاختبار والامتحان فاما العذاب فهو يجري مجرى المضار التي لا تختص اطلاق ذكرها بجهة دون جهة ولهذا يقال للظالم المبتدي بالظلم انه معذب ومضر ومولم وربما قيل معاقب على سبيل المجاز وليست لفظة العذاب جارية مجرى لفظة العقاب لان لفظة العقاب يقتضي ظاهرها الجزاء لانها من التعقيب والمعاقبة ولفظة العذاب ليست كذلك ه فاما اضافته ذلك الى الشيطان وانما ابتلاه الله تعالى به فله وجه صحيح لانه لم يضف المرض والسقم الى الشيطان

الصاحح

وانما اضاف اليه ما كان يستضر به من وسوسته ويتعب به من تذكره
له ما كان فيه من النعم والعافية والرخاء ودعايه له الى التضجر والتبرم بما
هو عليه ولانه ايضا كان يوسوس الى قومه بان يستقذروه ويتجنبوه لما
كان عليه من الامراض البشعة المنظر ويخرجوه من بينهم وكل هذا ضرر من جهة
اللعين ابليس وقد روي ان زوجته عليه السلم كانت تخدم الناس في منازلهم
وتصير اليه بما ياكله ويشربه وكان الشيطان لعنه الله يلقي اليهم ان داءه يعدي
ويبشع اليهم بحيث حذروا زوجته من حيث كانت تباشر قروحه
وتمس جسده وهذه مضار لا شبهة فيها فاما قوله تعالى في سورة
الانبياء وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فاستجبنا
له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا
وذكرى للعابدين فلا ظاهر لها ايضا يقتضي ما ذكروه لان الضر هو
الضرر الذي قد يكون محنة كما يكون عقوبة فاما ما روي
في هذا الباب من جهلة المفسرين فمما لا يلتفت الى مثله لان هؤلاء لا يزالون

يضيفون الى ربهم تعالى والى رسله عليهم السلم كل قبيح ويرمونهم بكل
عظيم وفي روايتهم هذه السخيفة ما اذا تامله المتامل علم انه موضوع
باطل مصنوع لانهم رووا ان الله تعالى سلط ابليس على مال ايوب عليه السلم
وغنمه واهله فلما اهلكهم ودمر عليهم ورأى صبره وتماسكه قال ابليس
لربه تعالى يا رب ان ايوب قد علم انه ستخلف له ماله وولده فسلطني
على جسده فقال قد سلطتك على جسده الا قلبه وبصره قال فاتاه
فنفخ من لدن قرنه الى قدمه فصار قرحة واحدة فقذف على كناسة لبني اسرائيل
سبع سنين واشهر تختلف الدواب في جسده الى شرح طويل نصون كتابنا
عن ذكر تفصيله فمن يقبل عقله هذا الجهل والكفر كيف يوثق بروايته
ومن لا يعلم ان الله تعالى لا يسلط ابليس على خلقه وان ابليس لا يقدر على ان
يقرح الاجساد ولا ان يفعل الامراض كيف تعتمد روايته فاما
هذه الامراض النازلة بايوب عليه السلم فلم تكن الا اختبارا وامتحانا وتعريضا
للثواب بالصبر عليها والعوض العظيم النفيس في مقابلتها وهذه

سنه الله تعالى في اصفيايه واوليايه فقد روى عن الرسول عليه
السلم انه قال وقد سيل اى الناس اشد بلاء فقال الانبياء ثم الصالحون
ثم الامثل فالامثل من الناس فظهر من صبره على محنته وتماسكه ما صار به
الى الان مثلا حتى روى انه كان في خلال ذلك شاكرا محتسبا ناطقا
بما له فيه من المنفعة والعايدة وانه ما سمعت له شكوى ولا تفوه
بتضجر ولا تبرم فعوضه الله تعالى مع نعيم الاخرة العظيم الدايم ان رد
عليه ماله واهله وضاعف عددهم في قوله تعالى واتيناه اهله
ومثلهم معهم ثم مسح ما به وشفاه وعافاه وامره على ما وردت به الرواية
بان ركض برجله الارض فظهرت عين فاغتسل منها وتساقط ما كان على
جسده من الداء قال الله تعالى اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب
والركض هو التحريك ومنه ركضت الدابة فان قيل افتصححون ما روى من ان
الجذام اصابه حتى تساقطت اعضاوه قلنا اما العلل المستقذرة التي
تنفر من راها وتوحشه كالبرص والجذام فلا يجوز شى منها على الانبيا عليهم

السلم لما تقدم ذكره في صدر هذا الكتاب لان النفور ليس بواقف على الامور
القبيحة بل قد يكون من الحسن والقبيح معا وليس ينكر ان يكون امراض
ايوب عليه السلم واوجاعه ومحنته في جسمه ثم في اهله وماله بلغت
مبلغا عظيما تزيد في الغم والالم على ما ينال المجذوم وليس ينكر تزايد
الالم فيه عليه السلم وانما ننكر ما اقتضى التنفير ه فان قيل افتقولون لون
ان الغرض بما ابتلى به ايوب عليه السلم كان الثواب والعوض او انما
على الاجماع وهل يجوز ان يكون ما في هذه الالام من المصلحة واللطف حاصلا
في غيرها مما ليس بالم ام تمنعون من ذلك ه قلنا اما الالام التي فعلها
الله تعالى على سبيل العقوبة فليس يجوز ان يكون غرضه عز وجل فيها
العوض من حيث كان قادرا على ان يبتدى بمثل العوض بل الغرض فيها المصلحة
وما يودي الى استحقاق الثواب فالعوض تابع والمصلحة اصل وانما يخرج بالعوض
من ان يكون ظلما وبالعوض من ان يكون عبثا فاما الالام اذا كانت فيه
مصلحة ولطف وهناك في المعلوم ما يقوم مقامه فيهما الا انه ليس بالم

إما بأن يكون لذة او ليس بألم ولا لذة فمن الناس من ذهب الى انه حسن في
هذا الموضع وانما يحسن بحيث لا يقوم مقامه ما ليس بألم في المصلحة
والصحيح انه حسن والله تعالى مخير في فعل ايهما شاء والدليل على صحة ما
ذكرناه انه لو قبح والحال هذه لم يخل من ان يكون انما قبح من حيث كان
ظلما او من حيث كان عبثا ومعلوم انه ليس بظلم لان العوض الزايد
العظيم الذي يحصل عليه يخرجه من كونه ظلما وليس ايضا بعبث لان
العبث هو ما لا عوض فيه او ما ليس ايضا غرض مثله وهذا الالم
فيه عوض عظيم جليل وهو الذي تقدم بيانه ولو كان الغرض غير كاف
فيه ولا يخرجه من العبث لما اخرجه من ذلك اذا لم يكن هناك ما يقوم
مقامه وليس لهم ان يقولوا انه انما قبح وصار عبثا من حيث كان هناك
ما يغني عنه لان ذلك مودي الى ان كل فعلين المبر كانا اولذتين اوليسا
بالمبين ولا لذتين او افعال تتساوت في وجه المصلحة يقبح فعل كل واحد منهما
لان العلة التي ادعيت حاصلة وليس له ان يقول ان الالم انما يقبح اذا كان

فيه من المصلحة مثل ما في فعل هو لذة من حيث كان يغني عنه ما ليس بالم
وذلك ان العوض الذي في مقابلته يخرجه من كونه ضررا ويدخله في
ان يكون نفعا ويجريه على اقل الاحوال مجرى ما ليس بضرر فقد عاد الامر
الى ان الالم بالعوض قد ساوى ما ليس بالم وحصل فيه من العوض المودي
الى المصلحة مثل ما فيه فيجب ان يكون مخيرا في الاستصلاح بايهما شاء
فان قيل ما انكرتم بمجرد كونها لذة ولا يفتقر في حسن فعلها الى امر زايد
والالم ليس كذلك فانه لا يحسن ان يفعل مجردا ولا بد من امر زايد يجعله
حسنا ام. قلنا هذا فرق بين الامرين من غير الموضع الذي جمعنا بينهما
فيه لان غرضنا انما كان في التسوية بين الالم واللذة اذا كان في كل واحد
منهما مثل ما في صاحبه من المصلحة وان يحكم بصحة التخيير في الاستصلاح
بكل واحد منهما وان كنا لا ننكر ان بينهما فرقا من حيث كان احدهما
نفعا يجوز الابتدا به واستحقاق الشكر عليه والاخر ليس كذلك الا ان هذا
الوجه وان اثر في الالم فليس يقتضي قبحه ووجوب فعل اللذة الا ترى

ان اللذة قد تساويهما في المصلحة فعل ما ليس بالم ولا لذة فيكون المكلف
تعالى مخيرا في الاستصلاح بهما شاء وان كان يجوز ويحسن ان يفعل اللذة
مجردها من غير عوض زايد ولا يحسن ذلك الفعل الاخر الذي جعلناه
في مقابلتها متى تجرد وانما يحسن لعوض زايد ولم يخرجهما اختلافهما في هذا
الوجه من تساويهما فيما ذكرناه من الحكم واذا كانت اللذة قد تساوي
في الحكم الذي ذكرناه من التخيير في الاستصلاح ما ليس بلذة وبينا ان العوض
قد اخرج الالم من كونه ضررا وجعله بمنزلة ما ليس بالم فقد بان
صحة ما ذكرناه لان التخيير بين اللذة وما ليس بلذة ولا الم اذا حسن متى
اجتمعا في المصلحة فلذلك يحسن التخيير بين اللذة وما جرى مجرى ما ليس
بالم ولا ضرر من الالم الذي يقابله المنافع وليس بعد هذا الا قول
من يوجب فعل اللذة لكونها نفعا وهذا مذهب ظاهر البطلان
لا حاجة بنا الى الكلام عليه في هذا الموضع ٥ فان قيل ما انكرتم
ان يكون الاستصلاح بالالم اذا كان هناك ما يستصلح به وليس بالم يجري

في القبح والعبث مجرى من بذل المال لمن يتحمل منه ضرب المقارع والا
ولا غرض له الا ايصال المال اليه في ان ذلك عبث قبيح ٥ قلنا اما قبح ما
ذكرته فالوجه فيه غير ما ظننته من ان هناك ما يقوم مقامه في الغرض
لانا قد بينا ان ذلك لو كان هو وجه القبح لكان كل فعل فيه
غرض يقوم غيره فيه مقامه عبثا وقبيحا وقد علمنا خلاف ذلك وانما
قبح بذل المال لمن يتحمل الضرب والغرض ايصال المال اليه من حيث يحسن
ان يبتدي بدفع المال الذي هو الغرض من غير تكلف الضرب فصار عبثا
وقبيحا من هذا الوجه وليس يمكن مثل ذلك في الالم اذا قابله ما ليس بالم
لان ما فيه من العوض لا يمكن الابتدا به ٥

شعيب عليه السلام

فان قيل ما معنى قوله تعالى في الحكاية عن شعيب عليه السلم
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه والشي لا يعطف على نفسه لا سيما

بالحرف الذي تقتضي التراخي والمهلة وهو ثم واذا كان الاستغفار توبة
فما وجه هذا الكلام **الجواب**
قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان يكون المعنى اجعلوا المغفرة
غرضكم وقصدكم الذي اليه تجرون ونحوه تتوجهون ثم توصلوا
اليها بالتوبة فالمغفرة اول في الطلب وآخر في السبب وثانيها
انه لا يمتنع ان يريد بقوله تعالى استغفروا ربكم اي سلوه التوفيق
للمغفرة والمعونة عليها ثم توبوا لان المسألة للتوفيق ينبغي ان تكون
قبل التوبة وثالثها انه اراد بثم الواو والمعنى استغفروا ربكم وتوبوا
اليه وهذان الحرفان قد يتداخلان فيقام احدهما مقام الآخر
ورابعها ان يريد استغفروا قولا ونطقا ثم توبوا اليه فتكونوا بالتو به
اليه فاعلين لما يسقط العقاب ولا تقتصروا على القول الذي لا يقطع
على سقوط العقاب عنه **وخامسها** انه خاطب
المشركين بالله تعالى فقال لهم استغفروا من الشرك بمفارقته ثم توبوا

اي ارجعوا الى الله تعالى بالطاعات وافعال الخير لان الانتفاع بذلك
لا يكون الا بتقدم الاستغفار من الشرك ومفارقته والتائب والآيب
والتائب والمنيب بمعنى واحد **وسادسها** ما اومى
اليه ابو علي الجبائي في تفسير هذه الآية لانه قال اراد بقوله وا استغفروا
ربكم ثم توبوا اليه ثم اقيموا على التوبة لان التائب الى الله من ذنوبه يجب ان اليه لانه يجب
يكون تائبا الى الله في كل وقت يذكر فيه ذنوبه بعد توبته الاولى
لانه يجب ان يكون مقيما على الندم على ذلك وعلى العزم ان لا يعود الى
مثله لانه لو نقض هذا العزم لكان عازما على العود وذلك لا
يجوز وكذلك لو نقض الندم لكان راضيا بالمعصية مسرورا
بها وهذا لا يجوز وقد حكينا الفاظه باعيانها وجملة هذا
الوجه انه اراد التكرار والتأكيد والامر بالتوبة بعد التوبة
كما يقول احدنا لغيره اضرب زيدا ثم اضربه وافعل هذا ثم افعله وهذا
الذي حكيناه عن ابي علي وان لم يذكره في تفسير هذه السورة لانه

قال هناك وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه أن معناه استغفروا ربكم من ذنوبكم السالفة ثم توبوا اليه بعد ذلك من كل ذنب يكون منكم او معصية وهذا ليس بشي لانه اذا حمل الاستغفار المذكور في الاية على التوبة فلا معنى لتخصيصه بما سلف دون ما ياتي لان التوبة من ذلك اجمع واجبة ولا معنى ايضا لتخصيص قوله ثم توبوا اليه بالمستقبلة دون الماضية لان الماضي والمستقبل مما تجب التوبة منه والذي حكيناه اولا اشبه واولى صح

مسألة

فان قيل فما الوجه في عدول شعيب عليه السلم عن جواب ابنته في قولها يا ابة استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين الى قوله لموسى عليه السلم اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين وهي لم تسئل النكاح ولا عرضت به فترك اجابتها عن كلامها وخرج الى شي لم تذكره بقضيته

الجواب

انها لما سالته ان يستاجره ومدحته بالقوة والامانة كان كلامها دالا على الترغيب فيه والتقريب منه والمدح له بما يدعوا الى الاخاذ به فبذل له النكاح الذي يقتضي غاية الاختصاص فما فعله شعيب عليه السلم في غاية المطابقة لجوابها ولما يقتضيه سؤالها

مسألة

فان قيل ما معنى قول شعيب عليه السلم اني اريد انكحك احدى ابنتي هاتين على ان تاجرني ثماني حجج فان اتممت عشرا فمن عندك وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شا الله من الصالحين وكيف يجوز في الصداق هذا التخيير والتفويض واي فايدة للبنت فيما شرطه هو لنفسه وليس يعود عليها من ذلك نفع

الجواب

قلنا يجوز ان تكون الغنم كانت لشعيب عليه السلم وكانت الفايدة باستيجار من يرعاها عايدة عليه الا انه اراد ان يعوض بنته عن قيمة رعيها فيكون ذلك مهرا لها فاما التخيير فلم يكن الا فيما زاد على الثماني حجج ولم يكن فيما شرطه مقترحا تخييرا وانما كان فيما تجاوزه وتعداه ووجه اخر

وهو انه يجوز ان تكون الغنم كانت للبنت وكان الاب عليه السلام
المتولي لامرها والقابض لصداقها لانه لا خلاف ان قبض الاب مهر ابنته
البكر البالغ جائز وانه ليس لاحد من الاولياء ذلك غيره واجمعوا
ان بنت شعيب عليه السلام كانت بكرا

وجه اخر

وهو ان يكون حذف ذكر الصداق وذكر ما شرطه لنفسه مضافا الى
الصداق لانه جائز ان يشترط الولي لنفسه ما يخرج عن الصداق وهذا
الجواب يخالف الظاهر لان قوله اني اريد ان انكحك احدى ابنتي
هاتين على ان تاجرني يقتضي ظاهره ان احدهما جزا على الاخر

وجه اخر

وهو انه يجوز ان يكون من شرعه
عليه السلام العقد بالتراضي من غير صداق معين ويكون قوله على ان
تاجرني على غير وجه الصداق وما تقدم من الوجوه اقوى

مسئلة موسى عليه السلام

فان قيل فما الوجه في قتل موسى عليه السلام القبطي وليس يخلو من ان
يكون مستحقا للقتل او غير مستحق فان كان مستحقا فلا معنى لندمه
عليه السلام وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله اني ظلمت نفسي فاغفر
لي وان كان غير مستحق فهو عاص في قتله وما بنا حاجة الى ان نقول ان
القتل لا يكون صغيرا لانكم تجوزون الصغير والكبير من المعاصي عليهم
السلام

الجواب

قلنا مما نجاب به عن هذا السوال ان موسى عليه السلام لم يتعمد
القتل ولا اراده وانما اجتاز فاستغاثه رجل من شيعته على رجل من
عدوه بغى عليه وظلمه وقصد الى قتله فاراد موسى عليه السلام ان يخلصه
من يده ويدفع عنه مكروهه فادى ذلك الى القتل من غير قصد
اليه وكل الم يقع على سبيل المدافعة للظالم من غير ان يكون مقصودا
فهو حسن غير قبيح ولا يستحق العوض به ولا فرق بين ان تكون المدافعة
من الانسان عن نفسه وبين ان تكون عن غيره في هذا الباب والشرط

في الامرين ان يكون الضرر غير مقصود وان يكون القصد كله الى دفع
المكروه والمنع من وقوع الضرر فان ادى ذلك الى ضرر فهو غير قبيح ٥
ومن العجب ان ابا علي ذكر هذا الوجه في تفسيره ثم نسب مع ذلك موسى
عليه السلام انه فعل معصية صغيرة ونسب معصيته الى الشيطان ٥
وقال في قوله رب اني ظلمت نفسي اي في هذا الفعل الذي لم تامرني
به وندم على ذلك وتاب الى الله تعالى منه فياليت شعري ما الذي فعل
مما لم يومر به وهو انما دافع الظالم ومانعه ووقعت الوكزة منه على وجه
الممانعة من غير قصد ولا شبهة في ان الله تعالى امر بدفع الظالم
فكيف فعل ما لم يومر به وكيف يتوب من فعل الواجب واذا كان
يريد ان ينسب المعصية اليه فما الحاجة به الى ذكر المدافعة والممانعة
وله ان يجعل الوكزة مقصودة على وجه تكون المعصية به صغيرة
فان قيل اليس من يكون قاصدا الى الوكزة وان لم يكن مريدا بها اتلاف
النفس ٥ قلنا اليس يجب ما ظننته وكيف يجعل الوكزة مقصودة

وقد بينا الكلام على ان القصد كان الى التخليص والمدافعة ومن كان
انما يريد المدافعة لا يجوز ان يقصد الى شيء من الضرر وانما وقعت الوكزة
وهو لا يريدها وانما اراد التخليص فادى ذلك الى الوكزة والقتل ٥
ووجه اخر وهو ان الله تعالى كان عرف موسى عليه
السلام استحقاق القبطي للقتل بكفره وندبه الى تاخير قتله الى حال التمكن
فلما راى موسى عليه السلام منه الاقدام على رجل من شيعته تعمد قتله تاركا
لما ندب اليه من تاخير قتله ٥ فاما قوله هذا من عمل الشيطان
ففيه وجهان احدهما انه اراد ان تزيين قتلي له وتركي لما ندبت
اليه من تاخيره وتفويتي ما استحقه عليه من الثواب من عمل الشيطان
والوجه الاخر انه يريد ان عمل المقتول عمل
الشيطان مفصحا بذلك عن خلافه لله تعالى واستحقاقه للقتل
فاما قوله رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فعلى معنى قول ادم عليه
السلام ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين

والمعنى احد وجهين اما على سبيل الانقطاع والرجوع الى الله تعالى والاعتراف
بالتقصير عن حقوق نعمه وان لم يكن هناك ذنب او من حيث حرم
نفسه الثواب المستحق بفعل الندب فاما قوله فاغفر لي فانما
اراد به فاقبل مني هذه القربة والطاعة والانقطاع الا ترى ان قبول
الاستغفار والتوبة يسمى غفرانا واذا شارك هذا القبول غيره في
معنى استحقاق الثواب والمدح به جاز ان يسمى بذلك ثم يقال
لمن ذهب ان القتل منه عليه السلم كان صغيرة اليس تخلو من ان
يكون قتله متعمدا وهو مستحق للقتل او فعله عمدا وهو غير مستحق
او قتله خطأ وهو مستحق او غير مستحق والقسم الاول يقتضي الا يكون
عاصيا جملة والثاني لا يجوز مثله على النبي عليه السلم لان قتل
النفس عمدا بغير استحقاق لو جاز ان يكون صغيرة على بعض الوجوه
جاز ذلك في الزنا وعظايم الذنوب فان ذكروا في الزنا وما اشبهه
التنفير فهو في القتل اعظم وان كان قتله خطأ وهو مستحق او غير
مستحق فقتله خارج من باب القبيح جملة فلا حاجة الى ذكر الصغيرة

مسألة

فان قيل كيف يجوز لموسى عليه السلم ان يقول لرجل من شيعته
يستصرخه انك لغوي مبين

الجواب

ان قوم موسى عليه السلم كانوا غلاظا جفاة الا ترى الى قولهم
بعد مشاهدة الايات لما راوا من يعبد الاصنام اجعل لنا الها كما لهم
الهة وانما خرج موسى عليه السلم خايفا على نفسه من قوم فرعون
بسبب قتل القبطي فراى ذلك الرجل يخاصم رجلا من اصحاب فرعون
فاستنصر موسى عليه السلم فقال له عند ذلك انك لغوي مبين
واراد انك خايب في طلب ما لا تدركه وتكلف ما لا تطيقه ثم
قصد الى نصرته كما نصره بالامس على الاخر فظن انه يريده بالبطش
لبعد فهمه فقال له اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس
ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما تريد ان تكون من المصلحين فعدل

عن قتله وصار ذلك سببا لشياع خبر القبطي بالامس

مسئلة

فان قيل فما معنى قول فرعون لموسى عليه السلم وفعلت فعلتك
التي فعلت وانت من الكافرين وقوله عليه السلم فعلتها اذا
وانا من الضالين وكيف نسب الضلال الى نفسه ولم يكن عندكم في وقت
من الاوقات ضالا

الجواب

اما قوله وانت من الكافرين فانما اراد به الكافرين لحق
تربيتي وان فرعون كان المربي لموسى عليه السلم الى ان كبر وبلغ الا ترى
الى قوله تعالى حكاية عنه الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من
عمرك سنين فاما قول موسى عليه السلم فعلتها اذا وانا من الضالين
فانما اراد به من الذاهبين عن ان الوكزة تاتي على النفس او ان المدافعة
تفضي الى القتل فقد يسمى الذاهب عن الشي انه ضال عنه ويجوز
ايضا ان يريد اني ضللت عن فعل المندوب اليه من الكف عن

القتل في تلك الحال فالفوز منزلة الثواب

مسئلة

فان قيل كيف جاز لموسى عليه السلم وقد قال الله تعالى له ائت القوم
الظالمين ان يقول في الجواب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا
ينطلق لساني فارسل الى هرون وهذا استعفا من الرسالة

الجواب

ان ذلك ليس باستعفا كما تضمنه السوال بل كان عليه السلم قد اذن
له ان يسل ضم اخيه في الرسالة اليه قبل هذا الوقت وضمنت
له الاجابة الا ترى الى قوله تعالى وهل اتاك حديث موسى اذ راى
نارا الى قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي فاجابه تعالى الى
مسئلته بقوله تعالى قد اوتيت سولك يا موسى وهذا يدل على ان الثقة
بالاجابة الى مسئلته تقدمت وكان ما دونا له فيها فقال اخاف ان
يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني شرحا لصورته وبيانا
عن حاله المقتضية لضم اخيه اليه في الرسالة فلم تكن مسئلته الاعفا

إذن وعلم وثقته بالإجابة

مسئلة

فان قيل كيف جاز لموسى عليه السلم ان يأمر السحرة بالقاء الحبال والعصي وذلك كفر وسحر وتلبيس وتمويه والامر بمثله لا يحسن

الجواب

قلنا لا بد من أن يكون في امره عليه السلم بذلك شرط فكانه قال القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين وكان فيما يفعلونه حجة وحذف الشرط لدلالة الكلام عليه واقتضاء الحال له وقد جرت العادة باستعمال هذا الكلام محذوف الشرط وان كان الشرط مرادا او ليس يجري هذا مجرى قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله وهو يعلم انهم لا يقدرون على ذلك وما اشبه هذا الكلام من الفاظ التحدي لان التحدي وان كان صورة الامر فليس امرا على الحقيقة ولا يصاحبه ارادة الفعل وكيف تصاحبه الارادة والله تعالى يعلم استحالة وقوع ذلك منهم وتعذره عليهم وانما التحدي لفظ موضوع لاقامة الحجة على المتحدي واظهار عجزه وقصوره عما تحدى به وليس هناك فعل تتناوله ارادة والامر بالقاء الحبال والعصي بخلاف ذلك لانه مقدور ممكن فليس يجوز ان يقال ان المقصد به هو ان يعجزوا عن القائها وتعذر عليهم ما دعوا اليه فلم يبق بعد ذلك الا انه امر بشرط ويمكن ان يكون على سبيل التحدي بان يكون دعاهم الى الالقاء على وجه يتساوون فيه ولا يخيلون فيما القوه السعي والتصرف من غير ان تكون له حقيقة لان ذلك غير ممكن وما ظهر على يديه من انقلاب الجماد حية على الحقيقة دون التخييل واذا كان ذلك ليس في مقدورهم فانما تحداهم به لتظهر حجته وتتوجه دلالته وهذا واضح

مسئلة

فان قيل فمن اي شيء خاف موسى عليه السلم حتى حكى الله تعالى عنه الخيفة في قوله عز وجل فاوجس في نفسه خيفة موسى او ليس خوفه يقتضي شكه في صحة ما اتاهم

الجواب

قلنا لم يخف من الوجه الذي تضمنه السؤال وانما راى من قوة التلبيس

والتخييل ما اتفق عنده من وقوع الشبهة على من لم يتم النظر فآمنه
الله من ذلك وبين أن حجته ستتضح للقوم بقوله تعالى لا تخف إنك
أنت الأعلى

مسألة

فإن قيل فما معنى قوله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام ربنا
إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا
عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى
يروا العذاب الأليم

الجواب

قلنا أما قوله ليضلوا عن سبيلك ففيه وجوه أولها أنه أراد
لئلا يضلوا فحذف وهذا له نظائر كثيرة في القرآن وكلام العرب فمن
ذلك قوله تعالى أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى وإنما أراد
لئلا تضل وقوله تعالى أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين
وقوله تعالى وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وقال الشاعر
نزلتم منزل الأضياف منا فعجلنا القرى أن تشتمونا

والمعنى لئلا تشتمونا فإن قيل ليس هذا نظير القوله تعالى
ليضلوا عن سبيلك لأنكم حذفتم في الآيات لا معا وما استشهدتم به
إنما حذف منه لفظة لا فقط قلنا كل ما استشهدنا به قد حذف
فيه اللام ولا معا الا ترى أن تقدير الكلام لئلا تشتمونا وفي
الآية إنما حذف أيضا حرفان وهما أن ولا وإنما حسن حذف اللام فيما
استشهدنا به وأن حذفت في الآية من حيث كانا جميعا ينبئان
عن الغرض ويدلان على المقصد الا ترى أنهم يقولون جئتك لتكرمني
كما يقولون جئتك أن تكرمني والمعنى أن غرضي الكرامة فإذا
جاز أن تحذفوا أحد الحرفين جاز أن تحذفوا الآخر وثانيها أن اللام
ها هنا هي لام العاقبة وليست لام الغرض ويجري مجرى قوله
تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه
لذلك بل لخلافه غير أن العاقبة لما كانت ما ذكره الله حسن إدخال
اللام ومثله قول الشاعر

وللموت تغذوا الوالدات سخالها كما لخراب الدور تبنى المساكن
ونظاير ذلك كثيرة فكانه تعالى لما علم ان عاقبة امرهم الكفر وانهم لا يومنون
الا نفارا لو علم ذلك نبيه عليه السلم حسن ان يقول انك آتيتهم
الاموال ليضلوا وثالثها ان يكون مخرج الكلام مخرج النفي والانكار
على من زعم ان الله تعالى فعل ذلك ليضلهم ولا يمتنع ان يكون هناك
من يذهب الى مذهب المجبرة في ان الله تعالى يضل عن الدين فرد بهذا
الكلام عليه كما يقول احدنا انما اتيت عبدي ما اتيته من الاموال ليعصيني
ولا يطيعني وهو انما يريد الانكار على من يظن ذلك به ونفي اضافة
المعصية اليه وهذا الوجه لا يصح الا على احد وجهين اما بان
يقدر فيه الاستفهام وان حذف حرفه او بان يكون اللام في قوله
ليعصيني لام العاقبة التي تقدم بيانها ومتى رفعنا من وهمنا هذين
الوجهين تصور كيف يكون الكلام خارجا مخرج النفي والانكار
ورابعها ان يكون اراد الاستفهام فحذف حرفه المختص به وقد حذف

حرف الاستفهام في اماكن كثيرة من الكلام وهذا الجواب ضعيف
لان حرف الاستفهام لا يكاد يحذف الا وفي الكلام دلالة عليه
وعوض منه مثل قول الشاعر
كذبتك عينك ام رايت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا
لان لفظة ام تقتضي الاستفهام وقد سال ابو علي الجبائي نفسه عن هذا
السوال في التفسير واجاب عنه بان في الاية ما يدل على حذف
حرف الاستفهام وهو دليل العقل الدال على ان الله تعالى لا يضل
العباد عن الدين ودليل العقل اقوى مما يكون في الكلام دالا على حرف
الاستفهام وهذا ليس بشيء لان دليل العقل وان كان اقوى من كل
دليل بحسب الكلام فيه فانه ليس يقتضي في الاية ان يكون حرف الاستفها
م منها محذوفا لا محالة لان العقل انما يقتضي تنزيه الله تعالى عن ان
يكون مجريا بشيء من افعاله الى اضلال العباد عن الدين وقد يمكن صرف
الاية الى ما يطابق دليل العقل من تنزيهه تعالى عن القبيح من غير ان

يذكر الاستفهام وحذف حرفه واذا كان ذلك ممكنا لم يكن في العقل
دليل على حذف حرف الاستفهام وانما كان يكون فيه دليل على ذلك
لو كان بعده تنزيه تعالى عن ارادة الضلال لانتفى دليل الاستفهام
فاما قوله تعالى فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فاجود ما قيل
فيه انه عطف على قوله ليضلوا وليس بجواب لقوله ربنا اطمس
على اموالهم واشدد على قلوبهم وتقدير الكلام ربنا انك اتيت فرعون
وملاه زينة واموالا في الحياة الدنيا ليضلوا عن سبيلك فلا
يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ربنا اطمس على قلوبهم واشدد
على قلوبهم وهذا الجواب يطابق ان تكون اللام للعاقبة وان
يكون المعنى فيها لئلا يضلوا ايضا ۝ وقال قوم انه اراد فلن يؤمنوا
فابدل الالف من النون الخفيفة كما قال الاعشى ۝
وصل على حين العشيات والضحى ولا تحمد المثرين والله فاحمدا
اراد واحمدن فابدل وكما قال عمر بن ابي ربيعة

فتمر بها ابن خمس وعشر له قالت الفتاتان قوما
اراد فلن تقوما ۝ ومما يستشهد به من اجاب بهذا الجواب الذي ذكرناه
ان ما في الكلام خبر وان خرج مخرج الدعا ما روي عن النبي صلى الله
عليه واله من قوله لن يلدغ المومن من جحر مرتين لانه لو كان خبرا
لكان كذبا واذا جاز ان يراد بما لفظه لفظ الخبر النهي جاز ان يراد
بما لفظه لفظ الدعا الخبر ويكون المراد بالكلام فلن يومنوا وقد
ذكر ابو علي ان قوما من اهل اللغة قالوا انه تعالى نصب قوله
فلا يومنوا وحذف منه النون وهو يريد في المعنى لا يومنون على
سبيل الخبر عنهم لان قوله فلا يومنوا وقع موقع جواب الامر الذي
هو قوله اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلما وقع موقع
جواب الامر وفيه الفا نصبه لان جواب الامر بالفا منصوب
في اللغة فنصب هذا لما اجراه مجرى الجواب وان لم يكن في الحقيقة
جوابا ومثله قول القايل انظر الى الشمس تغرب يا جهم وتغرب ليس

هو جواب الامر على الحقيقة لانها لا تعرب لنظر هذا الناظر
ولكن لما وقع موقع الجواب اجراه مجراه في الجزم وان لم يكن جوابا على
الحقيقة . وقد ذكر ابو مسلم محمد بن بحر في هذه الاية وجها اخر
وهو اغرب ما ذكر فيها قال انه تعالى لما اتى فرعون وملاه الزينة والاموال صح
في الدنيا على طريق العذاب لهم والانتقام منهم لما كانوا عليه من الكفر
والضلال وعلمه من احوالهم في المستقبل من انهم لا يؤمنون ويجري ذلك مجرى
قوله تعالى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم
بها في الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون فسال موسى عليه السلم
ربه وقال يا رب انك اتيتهم هذه الاموال والزينة في الحياة الدنيا على
طريق العذاب ولتضلهم في الاخرة عن سبيلك التي هي سبيل الجنة وتدخلهم
النار بكفرهم ثم ساله ان يطمس على اموالهم بان يسلبهم اياها ليزيد
ذلك في حسرتهم وعذابهم ومكروههم ويشد على قلوبهم بان يميتهم على هذه
الحال المكروهة وهذا الجواب قريب من الصواب والسلام

مسئلة

فان قيل فما الوجه في قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه
قال رب ارني انظر اليك وليس هذه المسئلة تدل على جواز الروية عليه
تعالى لانها لو لم تجز لم يسع ان يسالها موسى عليه السلم كما لا يجوز ان يساله
اتخاذ الصاحبة والولد

الجواب

قلنا اول ما اجيب به عن هذه الاية ان يكون موسى عليه السلم لم يسل
الروية لنفسه وانما سالها لقومه فقد روي ان قومه طلبوا ذلك منه
فاجابهم ان الروية لا تجوز عليه تعالى فلجوا به والحوا عليه في ان يسال الله
تعالى ان يريهم نفسه وغلب في ظنه ان الجواب اذا ورد من جهته
جل عظمته كان احسم للشبهة وانفى لها فاختار السبعين الذين
حضروا الميقات لتكون المسئلة بحضر منهم فيعرفوا ما يرد من الجواب
فسال عليه السلم ما نطق به القران واجيب بما يدل على ان الروية لا تجوز
عليه عز وجل . ويقوي هذا الجواب امور منها قوله تعالى يسالك

اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى اكبر
من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ومنها
قوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم
الصاعقة وانتم تنظرون ومنها قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة
قال رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي اتهلكنا بما فعل السفها
منا فاضاف ذلك الى السفها وهو يدل على انه كان بسببهم ومن جنس
ما سالوا ما لا يجوز عليه تعالى ومنها ذكر الجهرة من الروية وهي لا
تليق الا بروية البصر دون العلم وهذا يقوي ان الطلب لم يكن
للعلم الضروري على ما سنذكره في الجواب التالي لهذا الكلام ومنها
قوله انظر اليك لانا اذا حملنا الاية على طلب الروية لقومه امكن
ان يكون قوله انظر اليك على حقيقته فاذا حملت الاية على العلم
الضروري احتيج الى حذف في الكلام فيصير تقديره ارني انظر الى
الايات التي عندها اعرفك ضرورة وتمكن في هذا الوجه

الاخير خاصة ان يقال اذا كان المذهب الصحيح عندكم ان النظر في الحقيقة
غير الروية فكيف يكون قوله انظر اليك على حقيقته في جواب من
حمل الاية على طلب الروية لقومه فان قلتم لا يمتنع ان يكون انما
التمسوا الروية التي يكون معها النظر والتحديق الى الجهة فيسال على جنب
ما التمسوا قيل لكم هذا ينقض قولكم في هذا الجواب بين سوال
الروية وبين سوال جميع ما يستحيل عليه من الصاحبة والولد وما
يقتضي الجسمية بان يقولوا الشك في الروية لا يمنع من صحة معرفة
السمع من الشك في جميع ما ذكر يمنع من ذلك لان الشك الذي لا
يمنع من معرفة السمع انما هو الروية التي لا يكون معها نظر ولا يقتضي
التشبيه فان قلتم تحمل ذكر النظر على ان المراد به نفس الروية
على سبيل المجاز لان من عادة العرب ان تسمي الشي باسم طريقه وما قاربه
وداناه قيل لكم فكانكم عدلتم عن مجاز الى مجاز فلا قوة في هذا
الوجه والوجوه التي ذكرناها في تقوية هذا الجواب المتقدم

أدلّ وليس لأحد أن يقول لو كان موسى عليه السلام إنما سأل الرؤية
لقومه لم يضف السؤال إلى نفسه فيقول ربّ أرني أنظر إليك ولا كان
الجواب أيضاً مختصاً به في قوله تعالى لن تراني وذلك أنه غير ممتنع
وقوع الإضافة على هذا الوجه مع أن المسألة كانت من أجل الغير
إذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس ولهذا يقول أحدنا إذا شفع
في حاجة غيره للمشفوع إليه أسألك أن تفعل بي كذا وتجيبني إلى كذا
ويحسن أن يقول المشفوع إليه قد أجبتك وشفّعتك وما جرى
مجرى هذه الألفاظ وإنما حسن هذا لأن للسائل في المسألة غرضاً
وإن رجعت إلى الغير لتحققه بها وتكلّفه كتكلّفه إذا اختصّه
فإن قيل كيف يسأل الرؤية لقومه مع علمه باستحالتها ولئن
جاز ذلك ليجوزنّ أن يسأل لقومه سائر ما يستحيل عليه من كونه
جسماً وما أشبهه متى شكّوا فيه قلنا إنما صحت المسألة
في الرؤية ولم تصح فيما سألت عنه لأن مع الشك في جواز الرؤية التي

لا تقتضي كونه جسماً يمكن معرفة السمع وأنه تعالى حكيم صادق في
أخباره فيصح أن يعرفوا بالجواب الوارد من جهته تعالى استحالة
ما شكّوا في جوازه ومع الشك في كونه جسماً لا يصح معرفة
السمع فلا ينتفع بجوابه ولا يثمر علماً وقد قال بعض من تكلّم في هذه
الآية قد كان جائزاً أن يسأل موسى عليه السلام لقومه ما يعلم
استحالته وإن كانت دلالة السمع لا تثبت قبل معرفته متى كان
المعلوم في ذلك صلاح المكلفين في الدين وأن يرد الجواب
يكون لطفاً لهم في النظر في الأدلة وإصابة الحق منها غير أن من
أجاب بذلك شرط أن يبيّن النبي عليه السلام أنه عالم باستحالة ما
سأل فيه وأن غرضه في السؤال أن يرد الجواب فيكون لطفاً
وجواب آخر في الآية وهو أن يكون موسى عليه السلام إنما سأل
ربه تعالى أن يعلمه نفسه ضرورة بإظهار بعض أعلام الآخرة التي تضطر
عندها إلى المعرفة فتزول عنه الخواطر ومنازعة الشكوك والشبهات

وبيستغني عن الاستدلال لتخف المحنة عنه بذلك كما سال ابرهيم عليه
السلم ربه تعالى ان يريه كيف يحيي الموتى طلبا لتخفيف المحنة وان كان
قد عرف ذلك قبل ان يراه والسوال وان وقع بلفظ الرؤية فان الرؤية
يفيد العلم كما يفيد الادراك بالبصر قال الشاعر

رايت الله اذ سمى نزارا واسكنهم بمكة قاطنينا

واحتمال الرؤية للعلم اظهر من ان يدل عليه لاشتهاره ووضوحه
فقال الله تعالى له لن تراني اي لن تعلمني على هذا الوجه الذي التمسته
ثم اكد ذلك بان اظهر في الجبل من الايات والعجايب ما دله على ان
المعرفة الضرورية في الدنيا مع التكليف وثباته لا يجوز وان الحكمة
تمنع منها والوجه الاول اولى لما ذكرناه من تقدم من الوجوه ولان
موسى عليه السلم لا يخلو من ان يكون شاكا في ان المعرفة الضرورية التي
لا يصح حصولها في الدنيا او غير شاك فان كان شاكا فالشك
فيما يرجع الى اصول الديانات وقواعد التكليف ولا يجوز على الانبيا

عليهم السلم لا سيما وقد يجوز ان نعلم ذلك على حقيقته بعض امتنا فمن بعد
عليهم في المعرفة وهذا ابلغ في التنفير عنهم من كل شي يمنع منه
وان كان موسى عليه السلم عالما بذلك وغير شاك فيه فلا وجه
لسواله الا ان يقال سال لقومه فيعود ذلك الى معنى الجواب
الاول وقد حكي جواب ثالث في هذه الاية عن بعض
من تكلم في تاويلها من اهل التوحيد وهو ان قال يجوز ان يكون
موسى عليه السلم في وقت مسلته ذلك كان شاكا في جواز الرؤية
عليه تعالى فسال عن ذلك ليعلم هل يجوز عليه ام لا قال وليس
شكه في ذلك بمانع ان يعرف الله تعالى بصفاته بل يجري مجرى
شكه في جواز الروية على ما لا يرى من الاعراض في انه غير مخل فيما يحتاج
اليه في معرفته تعالى قال ولا يمتنع ان يكون غلطه في ذلك ذنبا
صغيرا وتكون التوبة الواقعة لاجله وهذا الجواب يبعد
من قبل ان الشك في جواز الرؤية التي لا تقتضي تشبيها وان كان لا

بعض صح

يمنع من معرفته بصفاته فان الشك في ذلك لا يجوز على الانبيا عليهم
السلم من حيث يجوز من بعض من بعثوا اليه ان يعرف ذلك على حقيقته
فيكون النبي شاكا فيه والامة عارفون به مع رجوعهم في المعارف
بالله تعالى وما يجوز عليه مما لا يجوز عليه اليه وهذا ابلغ في التنفير
على كل ما يوجب تنزيه الانبيا عليهم السلم عنه ه فان قيل فعن
اي شي كانت توبة موسى عليه السلم على الجوابين المتقدمين قلنا
اما من ذهب الى ان المسالة كانت لقومه فانه يقول انما تاب لانه
اقدم على ان سال على لسان قومه ما لم يوذن له فيه وليس للانبيا
عليهم السلم ذلك لانه لا يومن ان يكون الصلاح في المنع منه فيكون
ترك اجابته منفرا عنهم وليس يجري مسلتهم على سبيل الاستبرا
وبحضرة قومهم مجرى ما ذكرناه لانه يجوز ان يسالوا ستر ما
لم يوذن لهم فيه لان منعهم منه ما يقتضي تنفيرا ومن ذهب الى انه
سال المعرفة الضرورية يقول انه انما تاب من حيث سال معرفة

لا يقتضيها التكليف ه وفي الناس من قال انه انما تاب من حيث
ذكر في الحال ذنبا صغيرا تقدما والذي يجب ان يقال في لفظة
بذكر التوبة انه وقع على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والرجوع
اليه والتقرب منه وان لم يكن هناك ذنب معروف ه وقد
يجوز ان يكون ايضا الغرض في ذلك مضافا الى ما ذكرناه من الاستكانة
والخضوع والعبادة تعليما وتوقيفا على ما يستعمله ويدعوا به عند
نزول الشدايد وظهور الاهوال وتنبيه القوم المخطئين خاصة
على التوبة مما التمسوه من الروية المستحيلة عليه تعالى فان الانبيا
عليهم السلم وان لم يقع منهم القبائح فقد يقع من غيرهم ويحتاج من
وقع ذلك منه الى التوبة والاستغفار والاستقالة وهذا
بين بحمد الله ومنه ه

مسألة

فان قيل فما وجه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلم
والقى الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم

استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني
مع القوم الظالمين. أوليس ظاهر هذه الآية يدل على أن هرون
عليه السلام أحدث ما أوجب إيقاع ذلك الفعل به. وبعد فما
الاعتذار لموسى عليه السلام من ذلك الفعل به وهو فعل السفهاء
والمتسرعين وليس من عادة الحكماء المتأنين.

الجواب

قلنا ليس فيما حكاه الله تعالى من فعل موسى بأخيه عليهما السلام
ما يقتضي وقوع معصية ولا قبيح من واحد منهما وذلك أن موسى
عليه السلام أقبل وهو غضبان على قومه لما أحدثوا بعده مستعظما
لفعلهم مفكرا فيما كان منهم فأخذ برأس أخيه وجره إليه كما يفعل
الإنسان بنفسه مثل ذلك عند الغضب وشدة الفكر ألا ترى
أن المفكر الغضبان قد يعض على شفته ويفرك أصابعه ويقبض
على لحيته فأجرى موسى عليه السلام أخاه هرون عليه السلام مجرى

نفسه لأنه كان أخاه وشريكه ومن يمسه من الخير والشر ما يمسه
فصنع به ما يصنعه الرجل بنفسه في أحوال الفكر والغضب
وهذه الأمور تختلف أحكامها بالعادات فيكون ما هو
إكرام في بعضها استخفافا في غيرها ويكون ما هو استخفاف
في موضع إكراما في آخر. فأما قوله لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي
فليس يدل على أنه وقع على سبيل الاستخفاف بل لا يمتنع أن يكون
هرون عليه السلام خاف من أن يتوهم بنو إسرائيل بسوء ظنهم أنه منكر
عليه معاتب له ثم ابتدأ شرح قصته فقال في موضع إني خشيت
أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي. وفي موضع آخر
ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني إلى آخر الآية
ويمكن أن يكون قوله لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي على سبيل الامتعاض ص
والأنفة لكن معنى كلامه لا تغضب ولا يشتد جزعك وأسفك
لأنا إذا قد جعلنا فعله ذلك دلالة الغضب والجزع فالنهي

عنه نهي في المعنى عنهما اه وقال قوم ان موسى عليه السلم لما جرى
من قومه من بعده ما جرى اشتد حزنه وجزعه فراى من اخيه هرون عليهما
السلم مثل ما كان عليه من الجزع والقلق اخذ براسه متوجعا له مسكنا
كما يفعل احدنا بمن نالته المصيبة العظيمة فيتحرج لها ويقلق منها
وعلى هذا الجواب يكون قوله لا تشمت بي الاعدا لا يتعلق بهذا
الفعل بل يكون كلاما مبتدا انتهى اه فاما قوله على هذا الجواب لا
تاخذ بلحيتي ولا براسي فيحتمل ان يريد لا تفعل ذلك وعرضك التنكير
مني فيظن القوم انك منكر علي اه وقال قوم في هذه الايه
ان بني اسرايل كانوا على نهاية سوء الظن بموسى عليه السلم حتى ان
هرون عليه السلم كان غاب عنهم غيبة فقالوا لموسى عليه السلم
انت قتلته فلما وعد الله تعالى موسى عليه السلم ثلثين ليلة واتمها
بعشر وكتب له في الالواح من كل شي وخصه بما به شرفه
حليله الخطر بما اراه من الاية في الجبل ومن كلام الله تعالى له وغير ذلك
من تشريفه الامور ثم رجع الى اخيه اخذ براسه ليدنيه اليه ويعلمه
ما جدده الله تعالى له من ذلك ويبشره به فخاف هرون عليه السلم
ان يسبق الى قلوبهم ما لا اصل له فقال اشفاقا على موسى عليه
السلم لا تاخذ بلحيتي ولا براسي لئلا يسبق الى ما تشهد بين ايدي هولا فيظنوا
بك ما لا يجوز عليك ولا يليق بك والله تعالى اعلم بمراده من كلامه اه

مسئله

فان قيل فما وجه قوله تعالى فيما حكاه عن موسى عليه السلم والعالم
الذي كان صحبه وقيل انه الخضر عليه السلم من الايات التي ابتداوها فوجدا
عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى
هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع
معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان
شا الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسألني
عن شي حتى احدث لك منه ذكرا الى اخر الايات المتضمنة لهذه

القصة واول ما نسالون عنه في هذه الايات ان يقال لكم
كيف يجوز ان يتبع موسى عليه السلم غيره ويتعلم منه وعندكم
ان النبي لا يجوز ان يفتقر الى غيره وكيف يجوز ان يقول له انك لن
تستطيع معي صبرا والاستطاعة عندكم هي القدرة وقد كان
موسى عليه السلم على مذهبكم قادرا على الصبر وكيف قال
موسى عليه السلم ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك
امرا فاستثنى المشية في الصبر واطلق فيما ضمنه من طاعته
واجتناب معصيته وكيف قال لقد جئت شيئا امرا وشيئا
نكرا وما اتى العالم منكرا على الحقيقة وما معنى قوله لا تواخذني
بما نسيت وعندكم ان النسيان لا يجوز على الانبيا ولم نعت
موسى عليه السلم النفس بانها زاكية ولم تكن كذلك على الحقيقة
ولم قال في الغلام فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وان كان
الذي خشيه الله تعالى على ما ظنه قوم فالخشية لا تجوز عليه تعالى

وان كان هو الخضر عليه السلم فكيف يستبيح دم الغلام لاجل
الخشية والخشية لا تقتضي علما ولا تيقنا

الجواب

قلنا اما العالم الذي نعته الله تعالى في هذه الايات فلا يجوز
الا ان يكون نبيا فاضلا وقد قيل انه الخضر عليه السلم وانكر ابو
علي ذلك وزعم انه ليس بصحيح قال لان الخضر يقال انه كان
نبيا من بني اسرائيل الذين بعثوا بعد موسى عليه السلم وليس يمتنع
ان يكون الله تعالى قد اعلم هذا العالم ما لم يعلمه موسى عليه السلم
وارشد موسى اليه ليتعلم منه انما المنكر ان يحتاج النبي عليه السلم
في العلم الى بعض رعيته المبعوث اليهم فاما ان يفتقر الى غيره ممن
ليس له رعية فجائز وما تعلمه من هذا العالم الا كتعلمه من الملك
الذي يهبط اليه بالوحي وليس في هذا دلالة على ان ذلك العالم
كان افضل من موسى عليه السلم في العلم لانه لا يمتنع ان يزيد

موسى عليه السلام عليه في سائر العلوم التي هي افضل واشرف مما
علمه فقد يعلم احدنا اشياء من المعلومات وان كان ذلك المعلوم
يذهب على غيره ممن هو افضل منه واعلم ⊙ فاما نفي الاستطاعة
فانما اراد به ان الصبر لا يخف عليك وانه يثقل على طبعك
كما يقول احدنا لغيره انك لا تستطيع ان تنظر الي وكما يقال للمريض
الذي يجهده الصوم وان كان قادرا انك لا تستطيع الصيام
ولا تطيقه وربما عبر بالاستطاعة عن الفعل نفسه كما قال الله
تعالى حكاية عن الحواريين هل يستطيع ربك ان ينزل علينا
مائدة من السماء وكانه على هذا الوجه قال انك لن تصبر ولن
يقع منك الصبر ولو كان انما نفى القدرة على ما يعني الجهال لكان
العالم وهو في ذلك سواء ولا معنى لاختصاصه بنفي الاستطاعة
والذي يدل على انه انما نفى عنه الصبر لا الاستطاعة قول موسى عليه
السلام في جوابه ستجدني ان شاء الله صابرا ولم يقل ستجدني ان

شاء الله مستطيعا ومن الجواب ان يطابق الابتداء فدل جوابه على صح
ان الاستطاعة في الابتداء هي عبارة عن الفعل نفسه ⊙ فاما
قوله ولا اعصي لك امرا فهو ايضا مشروط بالمشية وليس بمطلق
على ما ذكر في السؤال فكانه قال ستجدني صابرا ولا اعصي لك
امرا ان شاء الله وانما قدم الشرط على الامرين جميعا وهذا ظاهر
في الكلام فاما قوله لقد جئت شيئا امرا فقد قيل انه اراد عجبا وقيل
انه اراد شيئا منكرا ⊙ وقيل ان الامر هو الداهية فكانه قال جئت
داهية وقد ذهب بعض اهل اللغة الى ان الامر مشتق من الكثرة
من امر القوم اذا كثروا وجعل عبارة عما كثر عجبه واذا حملت هذه
اللفظة على العجب فلا سؤال فيها وان حملت على المنكر كان الجواب
عنها وعن قوله لقد جئت شيئا نكرا واحدا وفي ذلك وجوه
منها ان ظاهر ما اتيته المنكر ومن شاهده ينكره قبل ان يعرف علته
ومنها ان يكون حذف الشرط فكانه اراد ان كنت قتلته ظالما

فقد جئت شيئا نكرا ومنها انه اراد انك اتيت امرا بديعا
غريبا فانهم يقولون فيما يستغربونه ويجهلون علته انه نكر ومنكر
وليس يمكن ان يدفع خروج الكلام مخرج الاستفهام والتقرير
دون القطع الا ترى الى قوله اخرقتها لتغرق اهلها الى قوله اقتلت
نفسا زكية بغير نفس ومعلوم انه ما كان قصد بخرق السفينة
الى التغريق فقد اتى منكرا وكذلك ان كان قتل النفس على سبيل الظلم
فاما قوله لا تواخذني بما نسيت فقد ذكر فيه وجوه ثلثة احدها
انه اراد النسيان المعروف وليس ذلك بعجب مع قصر المدة
فان الانسان قد ينسى ما قرب من زمانه لما يعرض له من شغل القلب
وغير ذلك ع **والوجه الثاني** انه اراد لا
تواخذني بما تركت ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ولقد عهدنا
الى ادم من قبل فنسي اي ترك وقد روي هذا الوجه عن ابن
عباس رحمة الله عليه عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى الله

عليه وآله فقال قال موسى عليه السلام لا تواخذني بما نسيت يقول
بما تركت من عهدي ع **والوجه الثالث**
انه اراد لا تواخذني بما فعلته مما يشبه النسيان فسماه نسيانا
للمشابهة كما قال المؤذن لاخوة يوسف عليه السلام انكم لسارقون
انكم تشبهون السراق وكما يتاول الخبر الذي يرويه ابو هريرة عن
النبي صلى الله عليه وآله انه قال كذب ابرهيم ثلث كذبات
في قوله لسارة عليها السلام اختي وفي قوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله
اني سقيم والمراد بذلك ان كان هذا الخبر صحيحا انه فعل ما ظاهره
الكذب ع واذا حملنا هذه اللفظة على غير النسيان الحقيقي
فلا سؤال فيها واذا حملناها على النسيان في الحقيقة كان الوجه
فيها ان النبي انما لا يجوز عليه النسيان فيما يؤديه او في شرعه
او في امر يقتضي التنفير عنه فاما فيما هو خارج عما ذكرناه فلا
مانع من النسيان الا ترى انه اذا نسي او سها في ماكله او مشربه على

وجه لا يتم ولا يصح فينسب الى انه متغفل لان ذلك غير ممتنع
واما وصف النفس بانها زاكية فقد قلنا ان ذلك خرج مخرج
الاستفهام لا على هذا الموضع وقد اختلف المفسرون في هذه
النفس فقال اكثرهم انه كان صبيا لم يبلغ الحلم وان الخضر وموسى
عليهما السلم مرا بغلمان يلعبون فاخذ الخضر منهم غلاما فاضجعه
وذبحه بالسكين ومن ذهب الى هذا الوجه يجب ان يحمل قوله زاكية
على انه من الزكا الذي هو الزيادة والنما لا من الطهارة في الدين من قولهم
زكت الارض تزكو اذا زاد ريعها ه وذهب قوم الى انه كان رجلا
بالغا كافرا ولم يكن يعلم موسى عليه السلم باستحقاقه للقتل
فاستفهم عن حاله ه ومن اجاب بهذا الجواب اذا سيل عن قوله تعالى
حتى اذا لقيا غلاما يقول لا يمتنع تسمية الرجل بانه غلام على مذهب
العرب وان كان بالغا ه فاما قوله فخشينا ان يرهقهما طغيانا
وكفرا فالظاهر يشهد ان الخشية هي من العالم لا منه تعالى والخشية

هاهنا قيل انها العلم كما قال الله تعالى وان امراة خافت من بعلها
نشوزا او اعراضا وقوله تعالى الا ان يخافا الا يقيما حدود
الله وقوله عز وجل وان خفتم عيلة وكل ذلك بمعنى العلم وعلى هذا
الوجه كانه يقول انني علمت باعلام الله تعالى ان هذا الغلام
متى بقي كفر ابويه ومتى قتل بقيا على ايمانهما فصارت تبقيته مفسدة
ووجب اخترامه ولا فرق بين ان يميته الله تعالى وبين ان يامر بقتله ه
وقد قيل ان الخشية هاهنا بمعنى الخوف الذي لا يكون معه
يقين ولا قطع وهذا يطابق جواب من قال ان الغلام كان كافرا
مستحقا للقتل بكفره وانضاف الى استحقاقه ذلك بالكفر خشية
ادخال ابويه في الكفر وتزيينه لهما ه وقد قال قوم ان الخشية هاهنا
هي الكراهية يقول القايل فرقت بين الرجلين خشية ان يقتتلا اي
كراهية لذلك وعلى هذا التاويل والوجه الذي قلنا انه بمعنى العلم
لا يمتنع ان يضاف الخشية الى الله تعالى ه فان قيل فما معنى قوله

اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر والسفينة البحرية
تساوي المال الجزيل فكيف تسمى مالكها بانه مسكين والمساكين
عند قوم شر حال وكيف قال وراءهم ملك ياخذ كل سفينة
غصبا ومن كان وراءهم فقد تخلوا من شره وخوا من مكروهه انما الحذر
مما يستقبلهم قلنا اما قوله لمساكين ففيه غير وجه منها انه لم يعن
بوصفهم بالمسكنة الفقر وانما اراد عدم الناصر وانقطاع الحيلة
وكذا يقال لمن له عدو يظلمه ويهضمه انه مسكين مستضعف وان
كان كثير المال واسع الحال ويجري هذا مجرى ما روي عنه عليه
السلام من قوله مسكين مسكين رجل لا زوجة له وانما اراد وصفه بالعجز
وقلة الحيلة وان كان ذا مال واسع ٥ **ووجه اخر**
وهو ان السفينة للبحري التي لا يتعيش الا بها ولا يقدر على التكسب
الا من جهتها كالدار التي يسكنها الفقير هو وعياله ولا يجد
سواها وهو مضطر اليها ومنقطع الحيلة الا منها فاذا انضاف

الى ذلك ان يشاركه جماعة في السفينة حتى يكون له منها الجزء
اليسير كان اسوا حالا واظهر فقرا **ووجه اخر**
وهو ان لفظة المساكين قد قرئت بتشديد السين واذا صحت هذه
الرواية فالمراد بها البخلاء وقد سقط السؤال واما قوله تعالى
وكان وراءهم ملك فهذه اللفظة يعبر بها عن الامام والخلف
معا وهي ها هنا بمعنى الامام ويشهد بذلك قوله تعالى من ورائه
جهنم يعني من قدامه وبين يديه قال الشاعر
ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم ٥
وقال الاخر ٥
اليس ورائي ان تراخت منيتي لزوم العصا تحنى عليها الاصابع
ولا شبهة في ان المراد بجميع ذلك القدام وقال بعض اهل العربية
انما صلح ان يعبر بالوراء عن الامام اذا كان الشيء المخبر عنه بالوراء يعلم
انه لا بد من بلوغه ثم سبقه وخلفه فيقول العربي البرد وراك

وهو يعني قدامك لانه قد علم انه لا بد من ان يبلغ البر ثم يستوهم

وجه اخر وهو انه يجوز ان يريد ان ملكا

ظالما كان خلفهم وفي طريقهم عند رجوعهم على وجه لا انفكاك لهم

منه ولا طريق لهم غير المرور به فخرق السفينة حتى لا ياخذها اذا

عادوا عليه ويمكن ان يكون وراءهم على وجه الاتباع والطلب

والله اعلم بمراده تعالى صح

مسألة

فان قيل فما معنى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا

كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها

اوليس قد روي في الاثار ان بني اسرائيل رموه عليه السلم بانه ادر

وانه ابرص وانه القى ثيابه على صخرة ليغتسل فامر الله تعالى الصخرة

بان تسير فسارت وتبعها موسى عليه السلم مجردا يدور على محافل بني

اسرائيل حتى راوه وعلموا ان لا عاهة به

الجواب

قلنا ما روي في هذا ليس بصحيح وليس يجوز ان يفعل الله تعالى

نبيه عليه السلم ما ذكروه من هتك العورة ليبرئه من عاهة اخرى

فانه تعالى قادر على ان يبرئه مما قذفوه به على وجه لا يلحقه

معه فضيحة اخرى وليس يرمي انبياء الله تعالى بذلك من يعرف

اقدارهم والذي روي في ذلك من الصحيح معروف وهو ان

بني اسرائيل لما مات هرون عليه السلم قذفوه بانه عليه السلم قتله

لانهم كانوا الى هرون عليه السلم اميل فبرأه الله تعالى من ذلك

بان امر الملائكة بان حملت هرون عليه السلم ميتا ومرت

به على محافل بني اسرائيل ناطقة بموته ومبرئة لموسى عليه السلم

من قتله وهذا الوجه يروى عن امير المؤمنين صلوات الله عليه

وروي ايضا ان موسى عليه السلم نادى اخاه هرون عليه السلم فخرج

من قبره فسأله هل قتله فقال لا ثم عاد وكل هذا جائز والذي

ذكروه محال غير جائز

مسألة داود عليه السلم

فان قيل فما الوجه في قوله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم اذ تسوروا
المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى
بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط
ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها
وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان
كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وقليل ما هم وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
اوليس قد روى اكثر المفسرين ان داود عليه السلم قال رب قد اعطيت
ابرهيم واسحق ويعقوب من الذكر ما لوددت انك اعطيتني مثله
فقال الله تعالى اني ابتليتهم بما لم ابتلك بمثله فان شئت
ابتليتك مثل ما ابتليتهم واعطيتك كما اعطيتهم قال نعم فقال
الله عز وجل فاعمل حتى ارى بلاءك وكان ما شاء الله ان يكون
وطال عليه ذلك وكاد ينساه فبينما هو في محرابه اذ وقعت

عليه حمامة فاراد ان ياخذها فطارت الى كوة المحراب فذهب
لياخذها فطارت فاطلع من الكوة فاذا امراة تغتسل فهويها
وهم بتزويجها وكان لها بعل يقال له اوريا فبعث به الى بعض
السرايا وامر بتقديمه امام التابوت الذي فيه السكينة وكان
غرضه ان يقتل فيتزوج بامراته فارسل الله تعالى اليه الملكين
في صورة خصمين ليبكتاه على خطيئته وكنيا عن النساء بالنعاج
وعليكم في هذه الايات سؤال من وجه اخر وهو ان الملائكة
لا تكذب فكيف قالوا خصمان بغى بعضنا على بعض وكيف قال
احدهما ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة
الى اخر الاية ولم يكن من ذلك شيء

الجواب

قلنا اما تفصيل الاية وتبيين انه لا دلالة في شيء منها على وقوع
الخطا من داود عليه السلم فهو الذي نحتاج اليه فاما الرواية
المدعاة فساقطة مردودة لتضمنها خلاف ما تقتضيه العقول

في الانبيا عليهم السلام وقد اخرج في رواياتها ما هو معروف ولا حاجة
بنا الى ذكره فاما قوله تعالى وهل اتاك نبأ الخصم فالخصم مصدر
لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ثم قال اذ تسوروا المحراب فكنى عنهم كناية
الجماعة وقيل في ذلك انه خرج الكلام على المعنى دون اللفظ
لان الخصمين ها هنا كانا كالقبيلتين او الجنسين وقيل ان الجمع
لان الاثنين اقل الجمع واوله لان فيهما معنى الانضمام والاجتماع
وقيل بل كان مع هذين الخصمين غيرهما ممن يعينهما ويؤيدهما
فان العادة جارية فيمن ياتي باب السلطان بان يحضر معه
الشفعاء والمعاونون فاما خوفه منهم فلانه كان خاليا بالعبادة
في وقت لا يدخل عليه فيه احد على مجرى عادته فراعه منهما انهما
اتيا في غير وقت الدخول او لانهما دخلا من غير المكان المعهود
وقوله خصمان بغى بعضنا على بعض جرى على التقدير والتمثيل
وهو كلام مقطوع عن اوله تقديره ارايت لو كنا كذلك وخصمنا

اليك ولا بد لكل احد من الاضمار في هذه الاية والا لم يصح
الكلام لان خصمان لا يجوز ان يبتدا به وقال المفسرون تقدير
الكلام نحن خصمان قالوا وهذا مما يضمره المتكلم ويضمر
للمتكلم ايضا فيقول المتكلم يا سامع مطيع اي انا كذلك ويقول
القافلون من الحج ايبون تايبون لربنا حامدون اي نحن كذلك
قال الشاعر
وقولا اذا جاوزتما ارض عامر وجاوزتما الحيين نهدا وخثعما
نزيعان من جرم بن ربان انهم ابوا ان يتقوا في الهزاهز محجما
اي نحن نزيعان ويقال للمتكلم مطاع معان ويقال له ارحل ام مقيم
قال الشاعر
تقول ابنة الكعبي لما لقيتها امنطلق في الجيش ام متثاقل
اي انت كذلك واذا كان لا بد في الكلام من اضمار فليس هم بان
يضمروا شيئا باولى منا اذا اضمرنا سواه فاما قوله ان هذا اخي

لها تسع وتسعون نعجة الى آخر الآية فانما هو ايضا على جهة التقدير
والتمثيل اللذين قد بيناهما وحذف من الكلام ما يقتضيه التقدير
ومعنى قوله وعزني اي صار اعز مني وقيل انه اراد قهرني وغلبني
فاما قولهم لقد ظلمك من غير مسئلة للخصم فانما اراد به ان
كان الامر كما ذكرت ومعنى ظلمك انتقصك وثلمك كما قال الله
تعالى آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا ، ومعنى ظن فيه وجهان
احدهما انه اراد الظن المعروف الذي هو خلاف اليقين ،
والوجه الآخر انه اراد العلم اليقيني لان الظن قد يرد بمعنى العلم
قال الله تعالى ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها وليس
يجوز ان يكون اهل الآخرة ظانين لدخول النار بل عالمين قاطعين

قال الشاعر ،

فقلت لهم ظنوا بالفي مقاتل سراتهم في الفارسي المسرد ،

والفتنة في قوله تعالى وظن داود انما فتناه هي الاختبار والامتحان
لا وجه لها الا ذلك في هذا الموضع كما قال تعالى وفتناك فتونا
فاما الاستغفار والسجود فلم يكن لذنب كان في الحال ولا فيما سلف
على ما ظنه بعض من تكلم في هذا الباب بل على سبيل الانقطاع
الى الله تعالى والخضوع له والتذلل بالعبادة والسجود قد يفعله
الناس كثيرا عند النعم التي تجدد عليهم وتنزل اليهم شكرا لموليها
وكذلك قد يسبحون ويستغفرون الله تعالى تعظيما وشكرا وعبادة
فاما قوله تعالى فخر راكعا واناب فالانابة هي الرجوع ولما
كان داود عليه السلم بما فعله راجعا الى الله تعالى ومنقطعا
اليه قيل فيه انه اناب كما يقال في التائب الراجع الى التوبة
والندم انه منيب ، فاما قوله تعالى فغفرنا له ذلك فمعناه
قبلنا منه وكتبنا له الثواب عليه واخرج الجزاء على لفظ
المجازى به كما قال تعالى يخادعون الله وهو خادعهم وقال
جل وعز الله يستهزئ بهم فاخرج الجزاء على لفظ المجازى عليه قال الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا ام
فلما كان المقصود في الاستغفار التوبة انما هو القبول قيل جوابه
غفرنا اي فعلنا المقصود به كذلك لما كان الاستغفار على طريق
الخضوع والعبادة المقصود به القربة من الثواب قيل في جوابه
غفرنا كان مبنيا على ان من يذهب الى ان داود عليه السلم
فعل صغيرة لا بد من ان يحمل قوله تعالى غفرنا على غير اسقاط
العقاب لان العقاب قد سقط بما هناك من الثواب الكثير
من غير استغفار ولا توبة ه ومن جوز على داود عليه السلم
الصغيرة يقول ان استغفاره عليه السلم كان لاحد امور اولها
ان اوريا بن حنان لما اخرجه في بعض ثغوره وقتل وكان داود عليه
السلم عالما بجمال زوجته مالت نفسه الى نكاحها بعده فقل غمه
بقتله لميل طبعه الى نكاح زوجته فعوتب على ذلك بنزول الملكين
من حيث حمله ميل الطبع على ان قل غمه بموت مثله من اصحابه ه

وثانيها انه روي ان امراة خطبها اوريا بن حنان ليتزوجها وبلغ
داود عليه السلم جمالها فخطبها ايضا فزوجها اهلها بداود
عليه السلم وقدموه على اوريا وغيره فعوتب عليه السلم على الحرص
على الدنيا وانه خطب امراة قد خطبها غيره حتى قدم عليه ه وثالثها
انه روي ان امراة تقدمت مع زوجها اليه في مخاصمة بينهما من غير
محاكمة تكون على سبيل الوساطة فطال الكلام بينهما وتردد
فعرض داود عليه السلم للرجل بالنزول عن المراة لا على سبيل
الحكم لكن على سبيل التوسط والاستصلاح كما يقول احدنا لغيره
اذا كنت لا ترضى زوجتك هذه ولا تقوم بالواجب من نفقتها
فانزل عنها فاعتقد الرجل ان ذلك حكم منه لا عرض ونزل عنها
فتزوجها داود عليه السلم فاتاه الملكان منبهانه على التقصير
في ترك تبيين مراده للرجل وانه كان على سبيل العرض لا الحكم ه
ورابعها ان سبب ذلك ان داود عليه السلم كان مشتغلا

بعبادته في محرابه فأتاه رجل وامراة متحاكمان فنظر الى المراة
ليعرفها بعينها فيحكم لها او عليها وذلك نظر مباح على هذا
الوجه فمالت نفسه اليها ميل الخلقة والطباع ففصل بينهما
وعاد الى عبادته فشغله الفكر في امرها وتعلق القلب بها
عن بعض نوافله التي كان وظفها على نفسه فعوتب ومنها
ان المعصية منه انما كانت بالعجلة في الحكم قبل التثبت وقد كان
يجب عليه لما سمع الدعوى من احد الخصمين ان يسال الآخر عما عنده
فيها ولا يقضي عليه قبل المسألة ومن اجاب بهذا الجواب قال ان الفزع
من دخولهما عليه من غير وقت العبادة انساه التثبت والتحفظ
وكل هذه الوجوه لا تجوز على الانبيا عليهم السلم لان فيها ما هو
معصية وقد بينا ان المعاصي لا تجوز عليهم وفيها ما هو منفر وان
لم يكن معصية مثل ان يخطب امراة قد خطبها رجل من اصحابه
فقدم عليه وتزوجها ومثل التعريض للنزول عن امراة وهو لا
لا يليق بالحلم فاما الاشتغال عن النوافل فلا يجوز ان يقع عليه
عتاب لانه ليس بمعصية ولا هو ايضا منفر فاما من زعم انه
عرض اوريا للقتل وقدمه امام التابوت عمدا حتى يقتل فقوله اوضح
فسادا من ان يتشاغل برده وقد روي عن امير المومنين صلوات
الله عليه انه قال لا اوتى برجل يزعم ان داود عليه السلم تزوج
امراة اوريا الا جلدته حدين حدا للنبوة وحدا للاسلام فاما
ابو مسلم فانه قال لا يمتنع ان يكون الداخلان على داود عليه السلم
كانا خصمين من البشر وان يكون ذكر النعاج محمولا على الحقيقة
دون الكناية وانما افزعه منهما دخولهما من غير اذن وعلى غير مجرى
العادة قال وليس في ظاهر التلاوة ما يقتضي ان يكونا ملكين
وهذا الجواب يبتني معه ما تاولناه قولهما ودعوى احدهما
على صاحبه وذكر النعاج والله اعلم بالصواب

سليمن عليه السلم

مسألة

فان قيل فما معنى قوله ووهبنا لداود سليمن نعم العبد انه
اواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال اني
احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها
على فطفق مسحا بالسوق والاعناق او ليس ظاهر هذه
الايات يدل على ان مشاهدة الخيل الهاه وشغله عن ذكر ربه
حتى روي ان الصلاة فاتته وقيل انها صلاة العصر ثم انه عرقب
الخيل وقطع سوقها واعناقها غيظا عليها وهذا كله
يقتضي ظاهره القبح

الجواب

قلنا اما ظاهر الاية فلا يدل على اضافة قبيح الى النبي عليه السلم
والرواية اذا كانت مخالفة لما تقتضيه الادلة لا يلتفت
اليها لو كانت قوية ظاهرة فكيف اذا كانت ضعيفة
واهية والذي يدل على ما ذكرناه على سبيل الجملة ان الله تعالى

ابتدأ الاية بمدحه وقرظه والثنا عليه فقال نعم العبد انه اواب
وليس يجوز ان يثني عليه بهذا الثنا ثم يتبعه من غير فصل باضافة
القبح اليه وانه تلهى بعرض الخيل عن فعل المفروض عليه من الصلاة
والذي يقتضيه الظاهر ان حبه للخيل وشغفه بها كان عن اذن ربه
وبامره وبتذكيره اياه لان الله تعالى قد امرنا بارتباط الخيل واعدادها
لمحاربة الاعدا فلا ينكر ان يكون سليمن عليه السلم مامورا
بمثل ذلك فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي ليعلم من حضره
ان اشتغاله بها واستعداده لها لم يكن لهوا ولعبا وانما اتبع فيه
امر الله تعالى واثر طاعته فاما قوله احببت حب الخير ففيه
وجهان احدهما انه اراد احببت حبا ثم اضاف الحب الى الخير

والوجه الاخر انه اراد احببت اتخاذ الخير فجعل
بدل قوله اتخاذ الخير حب الخير فاما قوله تعالى ردوها على
فهو للخيل لا محالة على مذهب سائر اهل التفسير فاما قوله

حتى توارت بالحجاب فان ابا مسلم محمد بن بحر رحمه قال انه عايد
الى الخيل دون الشمس لان الشمس لم يجر لها ذكر في القصة وقد جرت
للخيل ذكر فرده اليها اولى اذ كانت له محتملة هم وهذا التاويل
يبرئ النبي عليه السلم من المعصية فاما من قال ان قوله تعالى توارت
كناية عن الشمس فليس في ظاهر القران ايضا على هذا الوجه
ما يدل على ان التواري كان سببا لفوت الصلاة ولا يمتنع ان
يكون ذلك على سبيل العادة لعرض الخيل ثم استعادته لها
فاما ابو علي الجبائي وغيره فانه ذهب الى ان الشمس لما توارت
بالحجاب وغابت كان ذلك سببا لترك عبادة كان يتعبد
بها بالعشي وصلاة نافلة كان يصليها فنسيها اشتغالا منه
بالخيل واعجابا بتقليبها فقال هذا القول على سبيل الاغتمام
لما فاته من الطاعة وهذا الوجه ايضا لا يقتضي اضافة قبح
اليه عليه السلم لان ترك النافلة ليس بقبيح ولا معصية ٥ فاما

قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق فقد قيل فيه
وجوه منها انه عرقبها ومسح اعناقها وسوقها بالسيف من حيث
شغلته عن الطاعة ولم يرد ذلك على سبيل العقوبة لها لكن حتى
لا يتشاغل في المستقبل بها عن الطاعة لان للانسان ان يذبح
فرسه لاكل لحمه بغير سبب وقد يضاف الى ذلك وجه اخر حسنه
وقد قيل انه يجوز ان يكون لما كانت الخيل اعز ماله عليه اراد
ان يكفر بتفريطه في النافلة بذبحها والتصدق بلحمها على المساكين
قالوا فلما راى حسن الخيل وراقته واعجبته اراد ان يتقرب الى
الله تعالى بالمعجب له الرائق في عينه ويشهد بصحة هذا المذهب
قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ٥ فاما
ابو مسلم فانه ضعف هذا الوجه ٥ وقال لم يجر للسيف ذكر
فيضاف المسح اليه ولا يسمي العرب الضرب بالسيف والقطع
به مسحا قال فان ذهب ذاهب الى قول الشاعر

مقدمين يحلوا باطراف المذاري دنس الاسوق بالعضب الافل

فان هذا الشاعر يعني انه عرقب الابل للاضياف فمسح باسنمتها
ماصار على شفيفه من دنس عراقيبها وهو الدم الذي اصابه منها
وليس في الاية ما يوجب ذلك ولا يقاربه وليس الذي ذكره
ابو مسلم منكرا لان اكثر اهل التاويل وفهم من يشار اليه في اللغة
رووا ان المسح هاهنا هو القطع وفي الاستعمال المعروف
مسحه بالسيف اذا قطعه وبتره والعرب تقول مسح علاوته
اي ضرب عنقه ومنها ان يكون معنى مسحها هو انه امر يده عليها
صيانة لها واكراما لما راى من حسنها فان عادة من عرض عليه
الخيل ان يمر يده على اعرافها واعناقها وقوائمها ومنها ان يكون
معنى المسح هاهنا هو الغسل فان العرب تسمي الغسل مسحا فكانه
لما راى حسنها اراد صيانتها واكرامها بغسل قوائمها واعناقها
وكل هذا واضح

مسئلة

فان قيل فما معنى قوله تعالى ولقد فتنا سليمن والقينا على كرسيه
جسدا ثم اناب او ليس قد روي في تفسير هذه الاية ان جنيا
اسمه صخر تمثل على صورته وجلس على سريره وانه اخذ خاتمه الذي
فيه النبوة فالقاه في البحر فذهبت نبوته وانكره قومه حتى عاد
اليه من بطن السمكة

الجواب

قلنا اما ما رواه القصاص الجهال في هذا الباب فليس مما
يذهب على عاقل بطلانه وان مثله لا يجوز على الانبياء عليهم السلام وان
النبوة لا تكون في خاتم ولا يسلبها النبي عليه السلام ولا تنزع عنه
وان الله تعالى لا يمكن الجني من التمثيل بصورة النبي ولا غير ذلك مما
افتروه على النبي عليه السلام وانما الكلام على ما يقتضيه ظاهر
القرآن وليس في الظاهر اكثر من ان جسدا القي على كرسيه على
سبيل الفتنة له وهي الاختبار والامتحان مثل قوله تعالى الم
احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا

الذين من قبلهم ٥ والكلام في ذلك الحديث ما هو انما يرجع
فيه الى الرواية الصحيحة التي لا تقتضي اضافة قبيح اليه تعالى ه
وقد قيل في ذلك اشيا منها ان سليمن عليه السلم ٥ قال يوما
في مجلسه وفيه جمع كثير لاطوفن الليلة على مائة امراة
تلد كل امراة منهن غلاما يضرب بالسيف في سبيل الله وكان له
فيما روي عدد كثير من السراري فاخرج كلامه على سبيل المحبة لهذه
الحال فنزهه الله تعالى عن الكلام الذي ظاهره الحرص على
الدنيا والتشبث بها لئلا يقتدى به في ذلك فلم تحمل من نسائه
الا امراة واحدة ولدا ميتا فحمل حتى وضع على كرسيه جسدا بلا
روح تنبيها له على انه ما كان يجب ان يظهر منه ما ظهر
فاستغفر ربه وفزع الى الصلاة والدعاء وهذا الوجه اذا
صح ليس يقتضي معصية صغيرة على ما ظنه بعضهم حتى تسبب
الاستغفار والانابة الى ذلك لان محبة الدنيا على الوجه

المباح ليس بذنب وان كان غيره اولى منه والاستغفار عقيب
هذه الحال لا يدل على وقوع ذنب في الحال ولا قبلها بل يكون
محمولا على ما ذكرناه انفا في قصة داود عليه السلم من الانقطاع
الى الله تعالى وطلب ثوابه ه فاما قول بعضهم ان قرينة حيث
لم يستثن مشية الله تعالى لما قال تلد كل واحدة منهن غلاما فهذا
غلط لانه عليه السلم وان لم يستثن ذلك لفظا فقد استثناه ضميرا
واعتقادا اذ لو كان قاطعا مطلقا للقول لكان كاذبا او مطلقا
لما لا يامن ان يكون كذبا وذلك لا يجوز عند من جوز الصغائر
على الانبيا عليهم السلم فاما قول بعضهم انه انما عوقب واستغفر
لاجل ان فريقين اختصموا اليه احدهما من اهل جرادة امراة له
يحبها فاحب ان يقع القضا لاهلها فحكم بين الفريقين بالحق
وعوتب على محبته موافقة الحكم لاهل امراته فليس ايضا بشي
لان هذا الفعل الذي ذكر ليس بذنب يقتضي عتابا اذ كان

لم يرد القضا لما يوافق امره انه على كل حال بل فاقطعه الى ان
يكون الحق موافقا القول فيقبلها وان يتفق ان يكون في جهتها
من غير ان يقتضي ذلك ميلا منه في الحكم او بعدولا عن الواجب ؏
ومنها انه روي ان الجن لما ولد لسليمن عليه السلم ولد قالوا لنلقين
من ولده مثل ما لقينا من ابيه فلما ولد له غلام اشفق عليه منهم
فاسترضعه في المزن وهو السحاب فلم يشعر الا وقد وضع على
كرسيه ميتا تنبيها على ان الحذر لا ينفع مع القدر ؏ ومنها
انهم ذكروا انه كان لسليمن عليه السلم ولد شاب ذكي فحبه حبا
شديدا فاماته الله تعالى على بساطه فجاة بلا مرض اختبارا من الله
تعالى لسليمن عليه السلم وانه لا يصبر في اماته ولده والقا جسده
على كرسيه ؏ وقيل ان الله تعالى اماته في حجره وهو على
كرسيه فوضعه من حجره عليه ؏ ومنها ما ذكره ابو مسلم فانه
قال جائز ان يكون الجسد المذكور هو جسد سليمن عليه السلم

وان يكون ذلك المرض محنة الله تعالى به وللحبس للكلام فتنا سليمن
والقينا منه على كرسيه جسدا وذلك لشدة المرض والعرب
تقول في الانسان اذا كان ضعيفا انما هو لحم على وضم كما يقولون
انما هو جسد بلا روح تغليظا للعلة ومبالغة في فرط الضعف
ثم اناب اي رجع الى حال الصحة واستشهد على الاختصار
والحذف في الاية بقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على
قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا
بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا
الا اساطير الاولين ؏ ولو اتى بالكلام على شرحه لقال يقول
الذين كفروا منهم اي من المجادلين كما قال تعالى ؏ محمد رسول
الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم ۝ الى قوله
وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما ؏
وقال الاعشى في معنى الاختصار والحذف ؏ ⁘

وكان السموط علقها السالك بعطفي جيداء ام غزال
ولو اتي بالشرح لقال علقها السالك منها وقال كعب بن زهير
زالوا فما زال انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل
وانما اراد فما زال منهم انكاس ولا كشف وشواهد هذا المعنى
كثيرة ∴

مسئلة

فان قيل فما قول سليمن عليه السلم رب اغفر لي وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب اوليس ظاهر
هذا القول منه عليه السلم يقتضي الشح والضن والمنافسة
لانه لم يقنع بمسئلة الملك حتى اضاف الى ذلك ان يمنع غيره منه

الجواب

قلنا قد ثبت ان الانبيا عليهم السلم لا يسئلون الا ما يوذن لهم
في مسئلته لا سيما اذا كانت المسئلة ظاهرة يعرفها قومهم
وجايز ان يكون الله تعالى اعلم سليمن عليه السلم انه ان سال
ملكا لا يكون لغيره كان اصلح له في الدين والاستكثار من
الطاعات واعلمه ان غيره لو سال ذلك لم يجب اليه من حيث لا
صلاح له منه ولو ان احدنا صرح في دعايه بهذا الشرط حتى يقول
اللهم اجعلني ايسر اهل زماني وارزقني مالا لا يساويني فيه غيري
اذا علمت ان ذلك اصلح لي وانه ادعى الى ما تريده مني لكان
هذا الدعا منه حسنا جميلا وهو غير منسوب به الى بخل
ولا شح وليس يمنع ان يسال النبي عليه السلم هذه المسئلة من غير
اذن اذا لم يكن ذلك بحضرة قومه بعد ان يكون هذا الشرط
مرادا فيها وان لم يكن منطوقا به وعلى هذا الجواب اعتمد ابو علي
الجبائي ∴ **ووجه اخر** ∴ وهو ان يكون عليه
السلم انما التمس ان يكون ملكه اية لنبوته يبين بها عن غيره
ممن ليس بنبي وقوله لا ينبغي لاحد من بعدي اراد به لا ينبغي لاحد
غيري ممن انا مبعوث اليه ولم يرد من بعده الى يوم القيامة

من النبيين عليهم السلم ونظير ذلك انك تقول للرجل انا اطيعك ثم
لا اطيع احدا بعدك تريد ثم لا اطيع احدا سواك ولا تريد بلفظة
بعد المستقبل وهذا الوجه قريب وقد ذكر ايضا في هذه الايه
ومما لم نذكره فيما تقدم ان يكون عليه السلم انما سال
ملك الاخرة وثواب الجنة الذي لا يناله المستحق الا بعد انقطاع
التكليف وزوال المحنة ويعني بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا
يستحقه بعد وصولي اليه احد من حيث لا يصح ان يعمل ما يستحق
به لانقطاع التكليف ويقوي هذا الجواب قوله رب اغفر
لي وهو من احكام الاخرة وليس لاحد ان يقول ان ظاهر الكلام
بخلاف ما تاولتم لان لفظة بعدي لا يفهم منها بعد وصولي الى
الثواب وذلك ان الظاهر غير مانع من التاويل الذي ذكرناه فلا
منافي له لانه لا بد من ان تتعلق لفظة بعدي بشي من احواله
المتعلقة به واذا علقناها بوصوله الى الملك كان ذلك في

الفايده ومطابقه الكلام لغيره مما يذكر في هذا الباب الاترى
انا اذا حملنا لفظه بعدي على بعد نبوتي او مسلتي او ملكي كان ذلك كله
في حصول الفايده به يجري مجرى ان نحملها على بعد وصولي الى
الملك فان ذلك مما يقال فيه ايضا بعدي الا ترى ان القايل
يقول دخلت الدار بعدي ووصلت الى كذا وكذا بعدي وانما
يريد بعد دخولي وبعد وصولي وهذا واضح بحمد الله ومنه

يونس عليه السلم

مسئله

فان قيل فما معنى قوله تعالى ﴿وذا النون اذ ذهب مغاضبا
فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين﴾ وما معنى غضبه وعلى من كان غضبه وكيف
ظن ان الله تعالى لا يقدر عليه وذلك مما لا يظنه مثله وكيف

الجواب

اعرف بانه من الظالمين والظلم قبيح ﻫ

قلنا اما من ظن ان يونس عليه السلم خرج مغاضبا من حيث لم ينزل بقومه العذاب فقد خرج في الافترا على الانبيا عليهم السلم وسوا الظن بهم عن الحد ﻫ وليس يجوز ان يغاضب ربه الا من كان معاديا له وكان جاهلا بان الحكمة في سائر افعاله وهذا لا يليق باتباع الانبيا عليهم السلم من المومنين فضلا عمن عصمه الله تعالى ورفع درجته واصح من ذلك ظن الجهال واضافتهم اليه عليه السلم انه ظن ان ربه لا يقدر عليه من جهة القدرة التي يصح بها الفعل ويكاد يخرج عندنا من ظن بالانبيا عليهم السلم مثل ذلك عن باب التمييز والتكليف وانما كان غضبه عليه السلم على قومه لمقامهم على تكذيبه واصرارهم على الكفر وياسه من اقلاعهم وتوبتهم فخرج من بينهم خوفا من ان ينزل بهم العذاب وهو مقيم بينهم ﻫ فاما قوله تعالى وظن ان لن نقدر

عليه فمعناه انا لا نضيق عليه المسلك ونشدد عليه المحنة والتكليف لان ذلك مما يجوز ان يظنه النبي عليه السلم ولا شبهه في ان قول القايل قدرت وقدرت بالتخفيف والتشديد فمعناه التضييق ﻫ قال الله عز وجل ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله ﻫ وقال تعالى يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اي يوسع ويضيق ﻫ وقال تعالى واذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه اي ضيق والتضييق الذي قدره الله تعالى عليه هو ما لحقه من الحصول في بطن الحوت وما لحقه في ذلك من المشقة الشديدة التي نجاه الله تعالى منها ﻫ واما قوله تعالى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ﻫ فهو على سبيل الانقطاع الى الله عز وجل والخشوع له والخضوع بين يديه لانه لما دعاه وكشف ما امتحنه به وساله ان ينجيه من الظلمات التي هي ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت فعل ما يفعله الخاشع من الانقطاع والاعتراف بالتقصير

وليس لاحد ان يقول كيف يعترف بانه كان من الظالمين ولم يقع منه
ظلم وهل هذا الا الكذب بعينه وليس يجوز ان يكذب النبي
عليه السلم في حال خضوع ولا غيره وذلك انه يمكن ان يريد بقوله
اني كنت من الظالمين اي من الجنس الذي يقع منهم الظلم فيكون
صدقا وان ورد على سبيل الخشوع الخضوع لان جنس البشر
لا يمتنع منه وقوع الظلم فان قيل فاي فايدة في ان يضيف
نفسه الى الجنس الذين يقع منهم الظلم اذا كان منتفيا عنه في
نفسه قلنا الفايدة في ذلك التطاطي لله تعالى والتخشع
ونفي التكبر والتجبر لان من كان مجتهدا في رغبة الى مالك فلابد
ان يتطاطا له ويجتهد في الخضوع بين يديه ومن اكثر الخضوع
ان يضيف نفسه الى القبيل الذين يخطئون ويصيبون كما يقول الانسان
اذا اراد تكسير نفسه ونفي عنها دواعي الكبر والخيلا انما انا من البشر
ولست من الملايكة وانا ممن يخطي ويصيب وهو لا يريد

اضافة الخطا الى نفسه في الحال لان تكون الفايدة ما ذكرناه

وجه اخر وهو انا قد بينا في قصة ادم عليه السلم
لما تاولنا قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا ان المراد بذلك انا
نقصناها الثواب وبخسناها حقها منه لان الظلم في اصل
اللغة النقص والثلم ومن ترك المندوب اليه وهو لو فعله
لاستحق الثواب يجوز ان يقال انه ظلم نفسه من حيث نقصها
ذلك الثواب وليس يمتنع ان يكون يونس عليه السلم اراد هذا
المعنى لانه لا محالة قد ترك كثيرا من الندب فان استيفا جميع
الندب يتعذر وهذا اولى مما ذكره من جوز الصغاير على الانبيا
عليهم لانهم يدعون ان خروجه كان بغير اذن الله تعالى له فكان
قبيحا صغيرا وليس في الظاهر دليل على ما ادعوه لان ظاهر القران
لا يقتضيه وانما اوقعهم في هذه الشبهة قوله اني كنت
من الظالمين وقد بينا وجه ذلك وانه ليس بواجب ان يكون

خبرا عن المعصية ، وليس لهم ان يقولوا كيف تسمى من ترك
النفل بانه ظالم وذلك انا قد بينا وجه هذه التسمية في
اللغة وان كان اطلاق اللفظة لا يقتضيه وعلى من سأل
ذلك مثله واذا قيل له كيف يسمى كل من فعل معصية
بانه ظالم وانما الظلم المعروف هو الضرر المحض الموصل الى الغير
فاذا قالوا ان في المعصية معنى الظلم وان لم تكن ضررا يوصل
الى الغير من حيث نقصت ثواب فاعلها ، قلنا وهذا
المعنى يصح في الندب على ان تحري ما يستحق من الثواب مجرى
المستحق ، وبعد فان ابا علي الجبائي وكل من وافقه في الامتناع
من القول بالموازنة في الاحباط لا يمكنه ان يجيب بهذا الجواب
فعلى اي وجه يا ليت شعري يجعل معصية يونس عليه السلم
ظلما وليس فيها من معنى الظلم شيء ، فاما قوله تعالى فاصبر
لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت فليس على ما ظنه الجهال من انه

ثقل عليه اعباء النبوة لضيق خلقه فقذفها ، وانما الصحيح
ان يونس عليه السلم لم يقو على الصبر على تلك المحنة التي ابتلاه الله
تعالى بها وعوضه بنزولها به لغاية الثواب فشكا الى الله
تعالى منها وسأله الفرج والخلاص ولو صبر لكان افضل
فاراد الله تعالى لنبيه عليه السلم افضل المنازل واعلاها ،

عيسى عليه السلم
مسألة

فان قيل فما معنى قوله تعالى ، واذ قال الله يا عيسى ابن مريم انت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان
اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم
ما في نفسك انك انت علام الغيوب وليس يخلو من ان يكون عيسى
عليه السلم ممن قال ذلك او يجوز ان يقوله وهذا خلاف ما يذهبون

يكون صح

اليه في الانبياء عليهم السلم او ممن لم يقل ذلك ولا يقوله فلا معنى
لاستفهامه وتقريره ثم اي معنى في قوله ولا اعلم ما في نفسك وهذه
اللفظة لا تكاد تستعمل في الله تعالى ع

الجواب

ان قوله تعالى انت قلت للناس ليس باستفهام على الحقيقة وان
كان خارجا مخرج الاستفهام والمراد به تقريع من ادعى ذلك عليه
من النصارى وتوبيخهم وتكذيبهم وهذا يجري مجرى قول احدنا لغيره
افعلت كذا وكذا وهو يعلم انه لم يفعله ويكون مراده تقريع
من ادعى ذلك عليه وليقع الانكار والجحود ممن خوطب بذلك
فيكون من ادعاه عليه ع وفيه وجه اخر وهو انه تعالى
اراد بهذا القول تعريفه عليه السلم ان قومه قد اعتقدوا فيه
وفي امه عليهما السلم انهما الاهان لانه يمكن ان يكون عيسى عليه
السلم لم يعرف ذلك في تلك الحال ونظيره في التعارف ان يرسل

عيسى صح

الرجل رسولا الى قوم فيبلغ الرسول رسالته ويقبلها القوم فيجحدا
القوم بعده ويبدلوا ما اتى به وهو لا يعلم ويعلم المرسل ذلك فاذا
احب ان يعلمه مخالفة القوم له جاز ان يقول له انت امرتهم بكذا
وكذا على سبيل الاخبار له بما صنعوه فاما قوله تعلم ما في نفسي
ولا اعلم ما في نفسك فان لفظة النفس تنقسم في اللغة الى معان
مختلفة فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي التي اذا فقدها
خرج من كونه حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ع
والنفس ايضا ذات الشي الذي يخبر عنه كقولك فعل ذلك فلان
نفسه اذا تولى فعله واعطى كذا وكذا نفسه ع والنفس ايضا
الانفة كقولهم ليس لفلان نفس اي لا انفة له ع والنفس ايضا
الارادة يقولون نفس فلان في كذا وكذا اي ارادته قال الشاعر

فنفساي نفس قالت ائت ابن بحدل فرجا من كل غمى تهابها
ونفس تقول اجهد لها الا تكن كخاضبة لم تغن شيئا خضابها

ومنها ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد لم احج قط فنفس تقول لي
احجج ونفس تقول لي تزوج فقال الحسن انما النفس واحدة
ولكن همٌّ يقول حج وهمٌّ يقول تزوج وامر بالحجة وقال الممزق

العبدي
الا من لعين قد ناها حميمها ... وارقني بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتى همومها ... فنفس تعزيها ونفس تلومها

والنفس ايضا العين التي تصيب الانسان يقال اصابت فلانا
نفس اي عين وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يرقي فيقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء هو
فيك من عين عاين ونفس نافس وحسد حاسد وقال ابن الاعرابي
النفوس التي تصيب الناس بالنفس وذكر رجلا فقال كان والله حسودا
نفوسا كذوبا وقال عبيد الله بن قيس الرقيات

يتقي اهلها النفوس عليها ... فعلى نحرها الرقى والتميم

والنفس ايضا من الدباغ مقدار الدبغة تقول اعطني نفسا من دباغ
اي قدر ما ادبغ به مرة والنفس ايضا الغيب يقول القايل
اني لا اعلم نفس فلان اي غيبه وهذا هو تاويل قوله تعالى تعلم ما
في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم غيبي وما عندي ولا اعلم غيبك
وما عندك وقيل ان النفس ايضا العقوبة من قولهم احذرك
نفسي اي عقوبتي وبعض المفسرين حمل قوله تعالى ويحذركم الله
نفسه على هذا المعنى كانه قال يحذركم عقوبته روي ذلك
عن ابن عباس رحمة الله عليه والحسن واخرون قالوا معنى
الاية ويحذركم الله اياه فان قيل فما وجه تسمية الغيب بانه
نفس قلنا لا يمتنع ان يكون الوجه في ذلك ان نفس الانسان
لما كانت خفية الموضع انزل ما يكتمه ويخفيه في سره منزلتها
فقيل فيه انه نفسه مبالغة في وصفه بالكتمان والخفا وانما
حسن ان يقول مخبرا عن نبيه صلى الله عليه ولا اعلم ما في نفسك
من حيث تقدم قوله تعلم ما في نفسي ليزدوج الكلام فلهذا لا

تحسن ابتداء ان تقول انا لا اعلم ما في نفس الله تعالى وان حسن
على الوجه الاول ولهذا نظائر في كلام مشهورة

مسألة

فان قيل فما معنى قوله تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلم
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز
الحكيم فكيف يجوز هذا القول مع علمه عليه السلم بانه تعالى
لا يغفر للكفار

الجواب

قلنا المعنى هذا الكلام تفويض الامر الى مالكه وتسليمه الى مدبره
والتبرؤ من ان يكون اليه شيء من امور قومه وعلى هذا يقول احدنا
اذا اراد ان يتبرا من تدبير امر من الامور ويسلم منه ويفوض امره الى غيره
هذا امر لا مدخل فيه فان شئت ان تفعله وان شئت ان تتركه
مع قطعه على ان احد الامرين لا يكون منه وانما حسن منه ذلك لما
اخرج كلامه مخرج التفويض والتسليم وقد روي عن الحسن انه

قال معنى الآية ان تعذبهم فباقامتهم على كفرهم وان تغفر
لهم فبتوبة كانت منهم فكانه اشترط التوبة وان لم يكن الشرط
ظاهرا في الكلام فان قيل لم قيل وان تغفر لهم فانك
انت الغفور الرحيم فهو اليق بالكلام ومعناه من العزيز الحكيم
قلنا هذا سؤال من لم يعرف معنى الآية لان الكلام لم يخرج
مخرج مسألة غفران فيليق بما ذكره في السؤال وانما ورد على معنى
تسليم الامر الى مالكه فلو قيل فانك انت الغفور الرحيم لاوهم
الدعاء لهم بالمغفرة ولم يقصد بالكلام على ان قوله العزيز الحكيم
ابلغ في المعنى واشد استيفاء له من الغفور الرحيم وذلك ان
الغفران والرحمة قد يكونان حكمة وصوابا وقد يكونان بخلاف
ذلك فهما بالاطلاق لا يدلان على الحكمة والحسن والوصف
بالعزيز الحكيم يشتمل على معنى الغفران والرحمة واذا صوابين
ويزيد عليهما باستيفاء معان كثيرة لان العزيز هو المنيع القادر

الذي لا يذل ولا يضام وهذا المعنى لا يفهم من الغفور الرحيم
البتة ؟ فأما الحكيم فهو الذي يضع الأشياء مواضعها
ويصيب بها أغراضها ولا يفعل إلا الحسن الجميل فالمغفرة
والرحمة إذا اقتضتهما الحكمة دخلتا في قوله العزيز الحكيم
وزاد معنى هذا اللفظ عليهما من حيث اقتضى وصفه بالحكمة
في سائر أفعاله وإنما تعلق بهذا الكلام من الملحدين من لا معرفة
له بمعاني الكلام وإلا فبين ما تضمنه القرآن من اللفظ وبين
ما ذكروه فرق ظاهر في البلاغة واستيفاء المعاني والاشتمال
عليها ؟

سيدنا محمد صلى الله عليه وآله

مسألة

فإن قيل ما معنى قوله تعالى ؟ ووجدك ضالا فهدى أوليس
هذا يقتضي إطلاق الضلال عليه وذلك مما لا يجوز عندكم
قبل النبوة ولا بعدها ؟

الجواب

قلنا في معنى هذه الآية أجوبة أولها أنه أراد وجدك ضالا عن النبوة
فهداك إليها أو عن شريعة الإسلام التي نزلت عليه فأمر
بتبليغها إلى الخلق وبإرشاده عليه السلام إلى ما ذكرناه أعظم
النعم عليه والكلام في الآية خارج مخرج الامتنان والتذكير
بالنعم وليس لأحد أن يقول إن الظاهر بخلاف ذلك لأنه لا بد في
الظاهر من تقدير محذوف يتعلق به الضلال لأن الضلال هو
الذهاب والانصراف ولا بد من أمر يكون منصرفا فمن ذهب
إلى أنه أراد الذهاب عن الدين لا بد له من أن يقدر هذه اللفظة
ثم يحذفها ليتعلق بها لفظة الضلال وليس هو بذلك أولى منا
بما قدرناه وحذفناه ؟ وثانيها أن يكون أراد الضلال عن المعيشة
وطريق المكتسب يقال للرجل الذي لا يهتدي طريق معيشته
ووجه مكسبه ضال لا يدري ما يصنع ولا أين يذهب فامتن الله

تعالى عليه بان رزقه واغناه وكفاه وثالثها ان يكون اراد
ووجدك ضالا بين مكة والمدينة عند الهجرة فهداك وسلمك
من اعدائك وهذا الوجه قريب لولا ان السورة مكية وهي متقدمة
للهجرة الى المدينة اللهم الا ان يحمل قوله تعالى ووجدك على انه سيجدك
على مذهب العرب في حمل الماضي على معنى المستقبل فيكون له وجه
ورابعها ان يكون اراد بقوله ووجدك ضالا فهدى اي مضلولا
عنه في قوم لا يعرفون حقك فهداهم الى معرفتك وارشدهم الى
فضلك ولهذا نظير في الاستعمال يقال فلان ضال في قومه
وبين اهله اذا كان مضلولا عنهم وخامسها انه روي في قراءة
هذه الاية الرفع الم يجدك يتيم فاوى ووجدك ضال فهدى
على ان اليتيم وجده وكذلك الضال وهذا الوجه ضعيف
لان القراة غير معروفة ولان الكلام مع تسلمه يفسد اكثر معانيه

مسئلة

فان قيل فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان
ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم او ليس قد روي في ذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وآله لما راى تولي قومه عنه شق
عليه ما هم عليه من المباعدة والمنافرة وتمنى في نفسه ان ياتيه
من الله تعالى ما يقارب بينه وبينهم وتمكن حب ذلك في قلبه
فلما انزل الله عليه والنجم اذا هوى وتلاها عليهم القى الشيطان
على لسانه لما تمكن من محبته وامنيته تلك الغرانيق العلى وان
شفاعتهن لترتجى فلما سمعت قريش ذلك سرت به واعجبهم
ما زكى فيه الهتهم حتى انتهى الى السجدة فسجد المؤمنون وسجد ايضا
المشركون لما سمعوا من ذكر الهتهم بما اعجبهم فلم يبق في المسجد مؤمن
ولا مشرك الا سجد الا الوليد بن المغيرة فانه كان شيخا كبيرا
لا يستطيع السجود فاخذ بيده حفنة من البطحا فسجد عليها

ثم تفرق الناس من المسجد وقريش مسرورة بما سمعت واتى جبرئيل النبي
عليه السلم معاتبا على ذلك فحزن له حزنا شديدا فانزل الله تعالى
معزيا له ومسليا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم
الله اياته والله عليم حكيم

الجواب

قلنا اما الآية فلا دلالة في ظاهرها على هذه الخرافة التي قصوها
وليس يقتضي الظاهر الا احد امرين اما ان يريد بالتمني التلاوة
كما قال حسان بن ثابت

تمنى كتاب الله اول ليلة واخره لاقى حمام المقادر

او يريد بالتمني تمني القلب فان اراد التلاوة كان المراد ان من
ارسل قبلك من الرسل كان اذا تلا ما يؤديه الى قومه حرفوا عليه
وزادوا فيما يقوله ونقصوا كما فعلت اليهود في الكذب على
نبيهم عليه السلم واضاف ذلك الى الشيطان لانه يقع

بوسوسته وغروره ثم بين ان الله تعالى يزيل ذلك ويدحضه
بظهور حجته وينسخه ويحسم مادة الشبهة به وانما خرجت الآية
على هذا الوجه مخرج التسلية له عليه السلم لما كذب المشركون
عليه واضافوا الى تلاوته من مدح الهتهم ما لم يكن فيها وان كان
المراد تمني القلب فالوجه في الآية ان الشيطان متى تمنى عليه السلم
بقلبه بعض ما يتمناه من الامور يوسوس اليه بالباطل ويحدثه بالمعاصي
ويغريه بها ويدعوه اليها وان الله ينسخ ذلك ويبطله بما يرشده
اليه من مخالفة الشيطان وعصيانه وترك استماع غروره فاما
الاحاديث المروية في هذا الباب فلا يلتفت اليها من حيث تضمنت
ما قد نزهت العقول الرسل عليهم السلم عنه هذا لو لم تكن في
انفسها مطعونة مضعفة عند اصحاب الحديث بما يستغنى
عن ذكره وكيف يجيز ذلك على النبي عليه السلم من يسمع الله
تعالى يقول كذلك لنثبت به فؤادك يعني القران وقوله تعالى

ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا
منه الوتين وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى على ان من يجيز السهو
على الانبيا عليهم السلم يجب لا يجيز ما تضمنته هذه الرواية
المنكرة لما فيها من غاية التنفير عن النبي عليه السلم لان الله
تعالى قد جنب نبيه عليه السلم من الامور الخارجة عن باب
المعاصي كالغلظة والفظاظة وقول الشعر وغير ذلك مما هو
دون مدح الاصنام المعبودة دون الله تعالى على انه لا يخلوا
عليه السلم وحوشي مما قذف به من ان يكون تعمد ما حكوه وفعله
قاصدا او فعله ساهيا ولا حاجة بنا الى ابطال القصد في
هذا الباب والعمد لظهوره وان كان فعله ساهيا فالساهي
لا يجوز ان يقع منه مثل هذه الالفاظ المطابقة لوزن السورة
وطريقتها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام لانا نعلم ضرورة ان ساهيا
لو انشد قصيدة لما جاز ان يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها

وفي معنى البيت الذي تقدمه وعلى الوجه الذي يقتضيه فانه
وهو مع ذلك يبطل انه من القصيدة التي ينشدها وهذا ظاهر في
بطلان هذه الدعوى على النبي صلى الله عليه وآله على ان بعض اهل
العلم قد قال يمكن ان يكون وجه التباس الامر ان رسول الله صلى
الله عليه وآله لما تلا هذه السورة في ناد غاص باهله وكان اكثر
الحاضرين من قريش المشركون فانتهى الى قوله تعالى افرايتم اللات
والعزى وعلم من قرب من مكانه من قريش انه سيورد بعدها
ما يسوءهم به فيهن قال كالمعارض له والراد عليه تلك الغرانيق
العلى وان شفاعتهم لترتجى فظن كثير ممن حضر ان ذلك من قوله
عليه السلم واشتبه عليه الامر لانهم كانوا يلغطون عند قرائته عليه
السلم وكثر كلامهم وضجاجهم طلبا لتغليطه واخفاء قرائته
ويمكن ان يكون هذا ايضا في الصلاة لانهم كانوا يقربون منه عليه
السلم في حال صلاته عند الكعبة ويسمعون قرائته ويلغون فيها

وقيل ايضا انه عليه السلم كان اذا تلا القرآن على قريش توقف
في فصول الايات واتى بكلام على سبيل الحجاج لهم فلما تلا افرايتم
اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرانيق العلى منها
الشفاعة ترتجى على سبيل الانكار عليهم وان الامر بخلاف ما ظنوه
من ذلك ○ وليس يمتنع ان يكون هذا في الصلاة لان الكلام في الصلاة
حينئذ كان مباحا وانما نسخ من بعد ○ وقيل ان الغرانيق الملائكة وقد
جاء مثل ذلك في بعض الحديث فتوهم المشركون انه يريد الهتهم ○
وقيل ان ذلك كان قرآنا منزلا في وصف الملائكة فلما تلاه الرسول عليه
السلم ظن المشركون ان المراد به الهتهم فنسخت تلاوته وكل هذا
يطابق ما ذكرناه من تاويل قوله تعالى اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
لان بغرور الشيطان ووسوسته اضيف الى تلاوته عليه السلم
ما لم يرده بها وكل هذا واضح بحمد الله ○

مسئلة

فان قيل فما تاويل قوله تعالى ○ واذ تقول للذي انعم الله عليه
وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك
ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ○ اوليس هذا
عتابا له عليه السلم من حيث اضمر ما كان ينبغي ان يظهره وراقب
من لا يجب ان يراقبه فما الوجه في ذلك ○

الجواب

قلنا وجه هذه الاية معروف وهو ان الله تعالى لما اراد نسخ ما
كانت عليه الجاهلية من تحريم نكاح زوجة الدعي والدعي هو
الذي كان احدهم يجتبيه ويربيه ويضيفه الى نفسه على طريق
البنوة وكان من عادتهم ان يحرموا على نفوسهم نكاح ازواج ادعيائهم
كما يحرمون نكاح ازواج ابنائهم فاوحى الله تعالى الى نبيه عليه
السلم ان زيد بن حارثة وهو دعي رسول الله صلى الله عليه وآله
سياتيه مطلقا زوجته وامره ان يتزوجها بعد فراق زيد لها
ليكون ذلك ناسخا لسنة الجاهلية التي تقدم ذكرها فلما حضر
زيد مخاصما زوجته عازما على طلاقها اشفق الرسول عليه السلم

من ان يمسك عن وعظه وتذكره لا سيما وقد كان تصرف على امره
وتدبيره فرجف المنافقون به عليه السلم اذ تزوج المراة وقرفوه
بما قد نزهه الله تعالى عنه فقال له امسك عليك زوجك تبروا
مما ذكرناه وتنزها واخفى في نفسه عزمه على نكاحها بعد
طلاقه لها لينتهي الى امر الله تعالى فيها ويشهد بصحة هذا التاويل
قوله تعالى فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المومنين
حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا
فدل على ان العلة في امره بنكاحها ما ذكرناه من نسخ السنة المتقدمة
فان قيل العتاب باق على كل حال لانه قد كان ينبغي ان يظهر ما
اضمره ويخشى الله ولا يخشى الناس ۝ قلنا اكثر ما في الاية اذا سلمنا
نهاية الاقتراح فيها ان يكون عليه السلم فعل ما غيره اولى منه
وليس يكون عليه السلم بترك الاولى عاصيا وليس يمتنع على هذا ان
يكون صبره على قرف المنافقين واهوانه بقولهم افضل له واكثر ثوابا

فيكون ابدا ما في نفسه اولى منه وليس يكون عليه السلم
بترك الاولى عاصيا وليس يمتنع على هذا ان يكون صبره على قرف
المنافقين واهوانه بقولهم افضل له واكثر ثوابا فيكون ابدا ما في
نفسه اولى من اخفائه على انه ليس في ظاهر الاية ما يقتضي العتاب
ولا ترك الاولى اما اخباره تعالى بانه اخفى ما الله مبديه فلا شيء
فيه من الشبهة وانما هو خبر محض واما قوله تعالى وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه ففيه ادنى شبهة وان كان الظاهر لا يقتضي عند
التحقيق ترك الافضل لانه تعالى لم يخبر انه تخشى الناس وان الله احق
بالخشية ولم يخبر انك لم تفعل الاحق وعدلت الى الادون ولو كان
في الظاهر بعض الشبهة لوجب ان نتركه ونعدل عنه للقاطع من
الادلة ۝ وقد قيل ان زيد بن حارثة لما خاصم زوجته زينب ابنة
جحش وهي ابنة عمة رسول الله صلى الله عليه واله واشرف على طلاقها
اضمر رسول الله صلى الله عليه واله انه ان طلقها زيد تزوجها

من حيث كانت بنت عمته وكان يحب ضمها الى نفسه كما يحب
احدنا ضم قراباته اليه حتى لا ينالهم بؤس فاخبر الله تعالى رسوله صلى
الله عليه وآله والناس بما كان يضمره من شان ضمها الى نفسه ليكون
ظاهر الانبيا عليهم السلم وباطنهم سوا ولهذا قال رسول الله صلى
الله عليه وآله للانصار يوم فتح مكة وقد جاء عثمن بعبد الله بن
سعد بن ابي سرح وساله ان يرضى عنه وكان رسول الله صلى الله
عليه وآله قبل ذلك قد اهدر دمه وامر بقتله فلما راى عثمن استحيا
من رده وسكت طويلا ليقتله بعض المومنين فلم ذلك انتظارا		يفعل المومنون صح
منهم لامر رسول الله صلى الله عليه وآله مجددا فقال للانصار
اما كان فيكم رجل يقوم اليه فيقتله قال له عباد بن بشر يا رسول الله
ان عيني ما زالت في عينك انتظارا ان تومي الي فاقتله فقال له رسول
الله صلى الله عليه وآله الانبيا لا يكون لهم خاينة الاعين وهذا		ان صح
الوجه يقارب الاول في المعنى فان قيل فما المانع مما وردت

به الرواية من ان رسول الله صلى الله عليه وآله راى في بعض
الاحوال زينب بنت جحش فهويها فلما حضر زيد لطلاقها اخفى في
نفسه عزمه على نكاحها بعده وهواه لها او ليس الشهوة عندكم
التي قد تكون عشقا على بعض الوجوه من فعل الله تعالى وان العباد
لا يقدرون عليها وعلى هذا المذهب لا يمكن انكار ما تضمنه
السوال قلنا انكرنا ما وردت به هذه الرواية الخبيثة من
جهة ان الشهوة تتعلق بفعل العباد وانها قبيحة بل من جهة ان عشق
الانبيا عليهم السلم لمن ليس يحل لهم منفر عنهم وحاط من رتبتهم
ومنزلتهم وهذا مما لا شبهة فيه وليس كل شي يوجب ان
تجنبه الانبيا عليهم السلم مقصورا على افعالهم الا ترى ان الله
تعالى قد جنبهم الفظاظة والغلظة والعجلة وكل ذلك ليس
من فعلهم واوجبنا ايضا ان يجنبوا الامراض المنفرة والخلق المشينة
كالجذام والبرص وتفاوت الصورة واضطرابها وكل ذلك ليس من

معذورهم ولا فعالهم وكيف يذهب على عاقل ان عشق الرجل
زوجة غيره منفر عنه معدود في جملة معايبه ومثالبه ونحن
نعلم انه لو عرف بهذه الحال بعض الامناء او الشهود لكان ذلك
قادحا في عدالته خافضا من منزلته وما يؤثر في منزلة احدنا
اولى ان يؤثر في منازل من طهره الله وعصمه واكمله واعلى منزلته
وهذا بين لمن تدبره

مسئلة

فان قيل فما معنى قوله تعالى وما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى
يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز
حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم
اوليس هذا يقتضي عتابه عليه السلم على استبقاء الاسارى
واخذ عرض الدنيا عوضا عن قتلهم

الجواب

قلنا ليس في ظاهر التلاوة ما يدل على انه عليه السلم عوتب في
شان الاسارى بل لو قيل ان الظاهر يقتضي توجه الاية الى غيره
لكان اولى لان قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد
الاخرة وقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم
عذاب عظيم لا شك انه لغيره فيجب ان يكون المعاتب سواه
والقصة في هذا الباب معروفة والرواية بها مستظاهرة لان
الله تعالى امر نبيه عليه السلم بان يامر اصحابه بان يثخنوا في قتل اعدايهم
بقوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وبلغ
النبي صلى الله عليه وآله ذلك الى اصحابه فخالفوه واسروا يوم بدر
جماعة من المشركين طمعا في الفداء فانكر الله تعالى ذلك عليهم وبين
ان الذي امر به سواه فان قيل فاذا كان النبي عليه السلم
خارجا عن العتاب فما معنى قوله تعالى ما كان لنبي ان يكون له اسرى
قلنا الوجه في ذلك بين لان الاصحاب انما اسروهم ليكونوا في يده
عليه السلم فهم اسراؤه على الحقيقة ومضافون اليه وان كان لم يامر
باسرهم بل بخلافه فان قيل انما شاهدهم النبي عليه السلم

وقت الاسر فكيف لم ينههم عنه قلنا الذي يجب ان يكون النبي
عليه السلم مشاهدا لحال الاسير لانه كان عليه السلم على ما وردت
به الرواية يوم بدر جالسا في العريش ولما تباعد اصحابه عنه اسروا
من اسروه من المشركين بغير علمه صلى الله عليه وآله فان قيل فما بال
النبي عليه السلم لم يامر بقتل الاسرى لما صاروا في يده ان كان خارجا
من المعصية ومن حيث العتاب ولم لما استشار اصحابه اشار عليه
ابو بكر باستبقائهم وعمر باستيصالهم رجع الى راى ابى بكر حتى روي
ان العتاب من اجل ذلك قلنا اما الوجه في انه عليه السلم لم يقتلهم
فظاهر لانه غير ممتنع ان تكون المصلحة في قتلهم وهم محاربون وان يكون
القتل اولى من الاسر فاذا اسروا تغيرت المصلحة وكان استبقاؤهم
اولى والنبي عليه السلم لم يعمل براي ابى بكر الا بعد ان وافق ذلك ما نزل
الوحي به عليه واذا كان القرآن لا يدل بظاهره ولا بمجرى على وقوع معصية
منه عليه السلم في هذا الباب فالرواية الشاذة لا يعول عليها ولا

يلتفت اليها وبعد فلسنا ندري من اي وجه تضاف المعصية اليه
عليه السلم في هذا الباب لانه لا يخلو من ان يكون اوحي اليه في باب
الاسارى بان يقتلهم او لم يوح اليه فيه بشيء ووكل الى اجتهاده ومشورة
اصحابه فان كان الاول فليس يجوز ان يخالف ما اوحي اليه ولم ينقل احد
ايضا في هذا الباب انه عليه السلم خالف النص في باب الاسارى
وانما يدعي عليه صلى الله عليه وعلى آله انه فعل ما كان الصواب عند
الله خلافه وكيف يكون قتلهم منصوصا عليه بعد الاسر وهو يشاور
فيه الاصحاب ويسمع فيه المختلف من الاقوال وليس لاحد ان يقول
اذا جاز ان يشاور في قتلهم واستحيائهم وعنده نص في الاستحياء فالا جاز
ان يشاور وعنده نص في القتل وذلك انه لا يمتنع ان يكون امر بالمشاورة
قبل ان ينص له على احد الامرين ثم لما وافق احدى المشورتين فاتبعه
وهذا لا يمكن المخالف ان يقول مثله وان كان لم يوح اليه في باب
الاسارى بشيء ووكل الى اجتهاده ومشورة اصحابه فما بال الله يعاتب وقد

فعل ما اداه اليه الاجتهاد والمشاورة واي لوم على من فعل
الواجب ولم يخرج عنه وهذا يدل على ان من اضاف اليه عليه
السلم المعصية فقد ضل عن وجه الصواب

مسئلة

فان قيل فما وجه قوله تعالى مخاطبا لنبيه عليه السلم لما استاذنه
قوم في التخلف عن الخروج معه الى الجهاد فاذن لهم عفا الله عنك
لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اوليس العفو
لا يكون الا عن الذنوب وقوله لم فعلت ظاهر في العتاب لانه
من اخص الفاظ العتاب

الجواب

قلنا اما قوله تعالى عفا الله عنك فليس يقتضي وقوع معصية
ولا غفران عقاب ولا يمتنع ان يكون المقصد به التعظيم والملاطفة
في المخاطبة لان احدنا قد يقول لغيره اذا خاطبه ارايت رحمك الله
وغفر الله لك وهو لا يقصد الى الاستصفاح له عن عقاب ذنوبه
بل ربما لم يخطر بباله ان له ذنبا وانما الغرض الاجمال في المخاطبه

واستعمال ما قد صار في العادة علما على تعظيم المخاطب وتوقيره
فاما قوله تعالى لم اذنت لهم فظاهره الاستفهام والمراد به التقرير
واستخراج ذكر علة اذنه وليس بواجب حمل ذلك على العتاب لان
احدنا قد يقول لغيره لم فعلت كذا وكذا تارة معاتبا واخرى مستفهما
وتارة مقررا فليست هذه اللفظة خاصة للعتاب والانكار
واكثر ما يقتضيه وغايته ما يمكن ان يدعى فيها ان تكون دالة على انه
عليه السلم ترك الاولى والافضل وقد بينا ان ترك الاولى ليس
بذنب وان كان الثواب ينقص معه وان الانبياء عليهم السلم
يجوز ان يتركوا كثيرا من النوافل وقد يقول احدنا لغيره اذا ترك الندب
لم تركت الافضل ولم عدلت عن الاولى ولا يقتضي ذلك انكارا ولا قبيحا

مسئلة

فان قيل فما قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك اوليس هذا صريحا في وقوع المعاصي

منه عليه السلم ۵ **الجواب** م قلنا اما الوزر م
في اصل اللغة فهو الثقل وانما سميت الذنوب بانها اوزار لانها
تثقل كاسبها وحاملها واذا كان اصل الوزر ما ذكرناه فكل
شي اثقل الانسان وغمه وكده وجهده جاز ان يسمى وزرا تشبيها
بالوزر الذي هو الثقل الحقيقي وليس يمتنع ان يكون الوزر في
الاية انما المراد به غمه عليه السلم وهمه بما كان عليه قومه
من الشرك وانه كان هو واصحابه عليه السلم بينهم مستضعفا
مقهورا مغموما وكل ذلك مما يتعب الفكر ويكد النفس فلما
ان اعلى الله سبحانه كلمته ونشر دعوته وبسط يده خاطبه بهذا
الخطاب تذكيرا له بموقع النعمة عليه ليقابله بالشكر والثنا
والحمد ويقوي هذا التاويل قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك وقوله
جل وعز فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا والعسر بالشدايد والغموم
اشبه وكذلك اليسر بتفريج الكرب وازالة الهموم والغموم اشبه م

فان قيل هذا التاويل يبطله ان هذه السورة مكية نزلت على النبي
عليه السلم وهو في الحال التي ذكرتم انها كانت نعمة من ضعف الكلمة
وشدة الخوف من الاعدا وقبل ان يعلي الله كلمة المسلمين على المشركين
فلا وجه لما ذكرتموه م قلنا عن هذا السوال جوابان احدهما
انه تعالى لما بشره بان يعلي دينه على الدين كله ويظهره عليه
ويشفي من اعدايه غيظه وغيظ المومنين به كان بذلك واضعا عنه
ثقل غمه بما كان يلحقه من قومه ومطيبا لنفسه ومبدلا عسره
يسرا لانه يثق بان وعد الله تعالى حق لا يخلف فامتن الله تعالى
عليه بنعمة يستحق الامتنان وتقدمه م والجواب الاخر ان يكون
اللفظ وان كان ظاهره الماضي فالمراد به الاستقبال ولهذا نظاير
كثيرة في القران والاستعمال قال الله تعالى ونادى اصحاب النار
اصحاب الجنة وقوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك
الى غير ذلك مما شهرته تغني عن ذكره م **مسئلة**

فان قيل فما معنى قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
او ليس هذا صريحا في ان له عليه السلم ذنوبا وان كانت مغفورة

الجواب

قلنا اما من نفى عنه عليه السلم صغاير الذنوب مضافا الى
كبايرها فله عن هذه الاية اجوبة نحن نذكرها ونبين صحيحها
من سقيمها منها انه اراد تعالى باضافة الذنب اليه ذنب ابيه
ادم عليه السلم وحسنت هذه الاضافة للاتصال والقربى ويغفره
له من حيث اقسم على الله تعالى به عليه السلم فابر قسمه فهذا الذنب
المتقدم والذنب المتاخر فهو ذنب شيعته وشيعة ابيه ادم
عليهما السلم ٥ وهذا الجواب يعترضه ان صاحبه نفى عن نبي الله
ذنبا واضافه الى اخر والسوال عليه فيمن اضافه اليه كالسوال
فيمن نفاه عنه ويمكن اذا اردنا نصرة هذا الجواب ان نجعل الذنوب
كلها لامته عليه السلم ويكون ذكر التقدم والتاخر انما اراد
به ما تقدم من زمانه وما تاخر كما يقول القايل موكدا قد غفرت
لك ما قدمت واخرت وصفحت عن السالف والانف من ذنوبك
ولاضافة ذنوب امته وجه في الاستعمال معروف لان القايل قد
يقول لمن حضره من بني تميم او غيرهم من القبايل انتم فعلتم كذا وكذا
وقتلتم فلانا وان كان الحاضرون ما شهدوا ذلك ولا فعلوه وحسنت
الاضافة للاتصال والنسب ولا نسب ولا سبب اوكد مما بين الرسول صلى
الله عليه واله وامته فقد يجوز توسعا وتجوزا ان تضاف ذنوبهم
اليه عليه السلم ومنها انه سمى تركه الندب ذنبا وحسن ذلك لانه
عليه السلم ممن لا يخالف الاوامر الا هذا الضرب من الخلاف
ولعظم منزلته وقدره جاز ان يسمى بالذنب منه ما اذا وقع من غيره
لم يسم ذنبا وهذا الوجه يضعفه على بعد هذه التسمية انه لا
يكون معنى لقوله تعالى انني اغفر ذنبك ولا وجه في معنى الغفران
يليق بالعدول عن الندب ٥ ومنها ان القول خرج مخرج التعظيم

وحسن الخطاب كما قلناه في قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت
لهم وهذا ليس بشيء لان العادة جرت فيما يخرج هذا المخرج من
الالفاظ ان تجري مجرى الدعاء مثل قولهم غفر الله لك وليغفر لك
الله وما اشبه ذلك ولفظ الاية بخلاف هذا لان المغفرة جرت
فيها مجرى الجزاء والغرض في الفتح وقد ذكرنا في هذه الاية وجها
اخترناه وهو اشبه بالظاهر مما تقدم وهو ان يكون المراد بقوله
ما تقدم من ذنبك الذنوب اليك لان الذنب مصدر والمصدر
يجوز اضافته الى الفاعل والمفعول معا الا ترى انهم يقولون اعجبني
ضرب زيد عمرا اذا اضافوه الى الفاعل واعجبني ضرب زيد عمرو
اذا اضافوه الى المفعول. ومعنى المغفرة على هذا التاويل هي الازالة
والفسخ لاحكام اعدائه من المشركين عليه وذنوبهم اليه في منعهم اياه
عن مكة وصدهم له عن المسجد الحرام وهذا التاويل يطابق ظاهر
الكلام حتى تكون المغفرة غرضا في الفتح ووجها له والا فاذا اراد

مغفرة ذنوبه لم يكن لقوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
معنى معقول لان المغفرة للذنوب لا تعلق لها بالفتح وليست غرضا فيه
فاما قوله تعالى ما تقدم وما تاخر. لا يمتنع ان يريد ما تقدم زمانه من
فعلهم القبيح بك وبقومك وما تاخر. وليس لاحد ان يقول ان سورة الفتح
نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله بين مكة والمدينة وقد انصرف
من الحديبية. وقال قوم من المفسرين ان الفتح اراد به فتح خيبر لانه كان تاليا
لتلك الحال. وقال آخرون بل اراد به انا قضينا لك في الحديبية قضاء
حسنا فكيف يقولون ما لم يقله احد من ان المراد بالاية فتح مكة والسورة
قبل ذلك بمدة طويلة. وذلك ان السورة وان كانت نزلت في الوقت
الذي ذكروه وهو قبل فتح مكة فغير ممتنع ان يريد بقوله تعالى انا فتحنا لك
فتحا مبينا فتح مكة ويكون على طريق البشارة له والحكم بانه
سيدخل مكة وينصره الله تعالى على اهلها ولهذا نظاير في القرآن
والكلام كثيرة. ومما يقوي ان الفتح في السورة اراد به فتح مكة قوله

تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم
ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا
فالفتح القريب ههنا هو فتح خيبر. فاما حمل الفتح على القضاء الذي
قضاه في الحديبية فهو خلاف الظاهر ومقتضى الاية لان الفتح لاطلاق
الظاهر منه الظفر والنصر ويشهد بان المراد بالاية ما ذكرناه قوله
تعالى وينصرك الله نصرا عزيزا. فان قيل ليس يعرف اضافة
المصدر الى المفعول الا اذا كان المصدر متعديا بنفسه مثل قولهم
اعجبني ضرب زيد عمرو واضافة مصدر غير متعد الى مفعوله غير
معروف. قلنا هذا تحكم في اللسان وعلى اهله لانهم في كتب
العربية كلها اطلقوا ان المصدر يضاف الى الفاعل والمفعول
معا ولم يستثنوا متعديا من غيره ولو كان بينهما فرق لبينوه وفصلوه
كما فعلوا ذلك في غيره وليست قلة الاستعمال معتبرة في هذا الباب
لان الكلام اذا كان له اصل في العربية استعمل عليه وان كان

قليل الاستعمال وبعد فان ذنبهم ههنا اليه انما هو صدهم
له عليه السلام عن المسجد الحرام ومنعهم اياه عن دخوله فمعنى الذنب
متعد واذا كان معنى المصدر متعديا جاز ان يجري مجرى ما يتعدى
بلفظه فان من عادتهم ان يحملوا الكلام تارة على معناه واخرى على لفظه
الا ترى الى قول الشاعر

جئني بمثل بني بدر لقومهم ... او مثل اخوة منظور بن سيار

فاعمل الكلام على معنى دون اللفظ لانه لو اعمله على اللفظ لقال
او مثل بالجر ولكنه لما كان معنى جئني احضر او هات قوما مثلهم
حسن ان يقول او مثل بالفتح وقال الشاعر

درست وغير آيهن مع البلى ... الا رواكد جمرهن هباء
ومشجج اما سواء قذاله ... فبدا وغيب ساره المعزاء

فقال ومشجج بالرفع اعمالا للمعنى لانه لما كان معنى قوله الا رواكد
كانهن اقمن بالبيان عطف على ذلك المشجج بالرفع ولو اجرا

الكلام على القطع لنصب المعطف به وامثلة هذا المعنى كثيرة وفيما
ذكرناه كفاية بمشية الله

مسألة

فان قيل اليس قد عاتب الله تعالى نبيه عليه السلم في اعراضه
عن ابن ام مكتوم لما جاءه فاقبل على غيره بقوله تعالى عبس وتولى
أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى وهذا
ابين ما فيه ان يكون صغيرا

الجواب

قلنا اما ظاهر الاية فغير دال على توجهها الى النبي صلى الله عليه
وآله ولا فيها ما يدل على انها خطاب له بل هي خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه
وفيها ما يدل عند التأمل على ان المعني بها غير النبي عليه السلم لانه وصفه
بالعبوس وليس هذا من صفات النبي عليه السلم في قران ولا خبر مع
الاعداء المباينين فضلا عن المؤمنين المسترشدين ثم وصفه بانه يتصدى
للاغنياء ويتلهى عن الفقراء وهذا ما لا يصف به نبينا عليه السلم
من يعرفه فليس هذا مشبها لاخلاقه عليه السلم الواسعة وتحننه على

قومه وتعطفه وكيف يقول له عليه السلم وما عليك الا يزكى وهو صلى الله
عليه مبعوث للدعاء والتنبيه وكيف لا يكون ذلك عليه وكان هذا
القول اغراء بترك الحرص على ايمان قومه وقد قيل ان هذه السورة
نزلت في رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان منه هذا
الفعل المنعوت فيها ونحن وان شككنا في عين من نزلت فيه فلا
ينبغي ان نشك في انها لم يعن بها النبي عليه السلم واي تنفير ابلغ من العبوس
في وجوه المؤمنين والتلهي عنهم والاقبال على الاغنياء الكافرين والتصدي
لهم وقد نزه الله تعالى النبي عليه السلم عما هو دون هذا في التنفير
بكثير

مسألة

فان قيل فما معنى قوله تعالى مخاطبا لنبيه عليه السلم لئن اشركت
ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين وكيف توجه هذا الخطاب الى من
لا يجوز عليه الشرك ولا شيء من المعاصي

الجواب

قلنا قد قيل في هذه الاية ان الخطاب للنبي عليه السلم والمراد به

امته فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال نزل القرآن بإياك
اعني واسمعي يا جارة ومثل ذلك قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء
فطلقوهن لعدتهن فدل قوله تعالى فطلقوهن على ان الخطاب توجه
الى عمومهم وجواب آخر وهو ان هذا خبر يتضمن الوعيد وليس يمتنع
ان يتواعد الله تعالى على العموم وعلى سبيل الخصوص من يعلم انه لا يقع منه
ما تناوله الوعيد لكنه لا بد من ان يكون مقدرا له وجائزا بمعنى الصحة
لا بمعنى الشك ولهذا يجعل جميع وعيد القرآن عاما لمن يقع منه ما
تناوله الوعيد ولمن علم الله تعالى انه لا يقع منه وليس قوله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك على سبيل التقدير والشرط باكثر من قوله تعالى
لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا لان استحالة وجود ثان معه تعالى
اذا لم يمنع من تقدير ذلك وبيان حكمه فاولى ان يسوغ تقدير وقوع الشرك
الذي هو مقدور ممكن وبيان حكمه ○ والشيعة لها في هذه الآية جواب
تنفرد به وهو ان النبي صلى الله عليه وآله لما نص على امير المؤمنين بالامامة في

ابتداء الامر جاءه قوم من قريش فقالوا يا رسول الله ان الناس قريبو عهد
بالاسلام ولا يرضون ان تكون النبوة فيك والامامة في ابن عمك فلو عدلت
بها الى غيره لكان اولى فقال النبي صلى الله عليه وآله ما فعلت ذلك برأيي
فاتخير فيه لكن الله تعالى امرني به وفرضه علي فقالوا له فاذا لم تفعل ذلك
مخافة الخلاف على ربك تعالى فاشرك معه في الخلافة رجلا من قريش يسكن الناس
اليه ليتم لك امرك ولا يخالف الناس عليك فنزلت الآية والمعنى فيها
لئن اشركت في الخلافة مع امير المؤمنين عليه السلام غيره ليحبطن عملك ○
وعلى هذا التأويل السؤال قائم لانه اذا كان قد علم تعالى انه عليه السلام
لا يفعل ذلك ولا يخالف امره لعصمته فما الوجه في الوعيد فلا بد من الرجوع
الى ما ذكرناه ○

مسألة

فان قيل فما وجه قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضاة
ازواجك والله غفور رحيم ○ اوليس ظاهر هذا الخطاب يتضمن العتاب
والعتاب لا يكون الا على ذنب كبيرا او صغيرا ○

الجواب

قلنا ليس في ظاهر الاية ما يقتضي عتابا وكيف يعاتبه الله تعالى على ما
ليس بذنب لان تحريم الرجل بعض نسائه لسبب او لغير سبب ليس بقبيح
ولا داخل في جملة الذنوب واكثر ما فيه انه مباح ولا يمتنع ان يكون
قوله تعالى لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضاة ازواجك خرج
مخرج التوجع له من حيث تحمل المشقة في ارضاء زوجاته وان كان ما فعل
قبيحا ولو ان احدنا ارضى بعض نسائه بتطليق اخرى او بتحريمها لحسن ان يقال
له لم فعلت ذلك وتحملت المشقة فيه وان كان ما فعل قبيحا ويمكن
ايضا اذا سلمنا ان للقول بعض ظاهر العتاب ان يكون ترك التحريم افضل
من فعله فكانه عدل بالتحريم عن الاولى ويحسن ان يقال لمن عدل
عن النفل لم تفعله فكيف عدلت عنه والظاهر الذي لا شبهه
فيه قد يعدل عنه بدليل فلو كان للاية ظاهر يقتضي العتاب لجاز
ان يصرفه الى غيره لقيام الدلالة على انه عليه السلم لا يفعل شيئا
من الذنوب ولان القصة التي خرجت الاية عليها لا يقتضي ما له تعلق بالذنب
على وجه من الوجوه

مسألة

فان قيل فما الوجه في الرواية المشهورة ان النبي صلى الله عليه وآله
ليلة المعراج لما خوطب بفرض الصلاة راجع ربه تعالى مرة بعد اخرى
حتى رجعت الى خمس وفي الرواية ان موسى عليه السلم هو القائل له
صلى الله عليه وآله ان امتك لا تطيق هذا فكيف ذهب ذلك عن
النبي عليه السلم حتى نبهه موسى عليه السلم وكيف تجوز المراجعة منه مع
علمه بان العبادة تابعة للمصلحة وكيف يجاب الى ذلك مع ان المصلحة
بخلافه

الجواب

قلنا اما هذه الرواية فهي من طريق الاحاد التي لا توجب علما وهي مع
ذلك ضعيفة وليس يمتنع لو كانت صحيحة ان تكون المصلحة في الابتدا
تقتضي العبادة بالخمسين من الصلوات فاذا وقعت المراجعة تغيرت
المصلحة فاقتضت اقل من ذلك حتى ينتهي الى هذا العدد المستقر ويكون
النبي عليه السلم قد علم بذلك فراجع بطلب التخفيف عن امته والتسهيل

ونظير ما ذكرناه في تغيّر المصلحة بالمراجعة وتركها أنّ فعل المنذور
قبل النذر غير واجب فاذا انعقد النذر صار واجبا داخلا في
جملة العبادات المفروضات وكذلك تسليم المبيع غير واجب
ولا داخل في جملة العبادة فاذا انعقد عقد البيع وجب وصار
مصلحة ونظائر ذلك من الشرعيات اكثر من ان تحصى فاما قول
موسى عليه السلم له صلى الله عليه وآله ان امتك لا تطيق فراجع
فليس ذلك تنبيه له عليه السلم وليس يمتنع ان يكون النبي عليه
السلم اراد ان يسأل مثل ذلك لو لم يقل موسى عليه السلم ويجوز ان
يكون قوله قوى دواعيه في المراجعة التي كانت انبعث له وفي الناس
من استبعد هذا الوضع من حيث يقتضي ان يكون موسى عليه
السلم في تلك الحال حيا كاملا وقد قبض منذ زمان وهذا ليس
ببعيد لان الله تعالى قد خبر ان انبياءه عليهم السلم والصالحين من
عباده في الجنان يرزقون فما المانع ان يجمع الله تعالى بين نبينا عليه السلم

وبين موسى عليه السلم ه

مسألة

وان قيل فما الوجه فيما روي من ان الله تعالى لما امر نبيه عليه السلم
ان يقرأ القرآن على حرف واحد قال له جبرئيل عليه السلم استزده
يا محمد فسأل الله تعالى حتى اذن له ان يقرأه على سبعة احرف ه

الجواب

ان الكلام في هذا الخبر يجري مجرى ما ذكرناه في المراجعة عند فرض الصلاة
وليس يمتنع ان تكون المصلحة تختلف بالمراجعة والسؤال وانما التمس عليه
السلم الزيادة في الحروف للتسهيل والتخفيف فان في الناس من يسهل
عليه التفخيم وبعضهم لا يسهل عليه الا الامالة وكذلك القول في الهمز
وترك الهمز فان كان هذا الخبر صحيحا فوجه المراجعة هو طلب التخفيف
ورفع المشقة ه

مسألة

فان قيل فما الوجه في اجابة النبي عليه السلم العباس رضي الله عنه
في قوله الا الاذخر الى سؤاله وامضى استثناءه وانتم تعلمون ان التحريم

والحليل انما يتبع المصالح فكيف يستثني بقول العباس رحمه
الله عليه لم يكن يريد ان يستثنيه

الجواب

قلنا عن هذا جوابان احدهما ان يكون النبي عليه السلم اراد ان
يستثني ما ذكره العباس رضي الله عنه من الاذخر لو لم يسابقه اليه
وقد نجد كثيرا من الناس يبتدي الكلام وفي نيته ان يصله بكلام
مخصوص فيسابقه الى ذلك الكلام بعض حاضريه فينطق به اما وهو
كلامه الاول بالثاني لاجل تذكير الحاضر به ولا يكون الامر كذلك

والجواب الثاني

ان يكون الله تعالى خير
نبيه عليه السلم في الاذخر فلما سأله العباس رحمة الله عليه
اختار احد الامرين اللذين خيره بينهما فكل هذا غير ممتنع ٥

مسئلة

فان قيل فما قولكم في الخبر الذي رواه محمد بن جعفر الطبري باسناده
عن ابي هريرة عن النبي عليه السلم ان النار تقول هل من مزيد اذا القي

اهلها فيها حتى يضع الرب تعالى قدمه فيها فتقول قط قط فحينئذ
تمتلي ويزوى بعضها الى بعض وقد روي مثل ذلك عن انس

الجواب

قلنا لا شبهة في ان كل خبر اقتضى ما تنفيه ادلة العقول فهو
باطل مردود الا ان يكون له تأويل صح شايع غير متعسف فيجوز ان يكون صحيحا
ومعناه مطابق للادلة وقد دلت العقول ومحكم القران والصحيح
من السنة على ان الله تعالى ليس بذي جوارح ولا يشبهه شي من
خلقه وكل خبر نافى ما ذكرناه وجب ان يكون اما مردودا او محمولا
ولا يشبه شيا من المخلوقات على ما يطابق ما ذكرناه من الادلة
وخبر القدم تقتضي ظاهره التشبيه المحض فكيف يكون مقبولا
وقد قال قوم انه لا يمتنع ان يريد بذكر القدم القوم الذين قدمهم
لها واخبر انهم يدخلون اليها ممن استحقها باعماله فاما قول النار
هل من مزيد فقد قيل معنى ذلك انها صارت لا موضع فيها
بحيثها صح

لزيادة وبحيث لو كانت ممن تقول لقالت قد امتلأت وما بقي في
مزيد وأضاف القول إليها على سبيل المجاز كما أضاف الشاعر
القول إلى الحوض في قوله

امتلأ الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني

وقد قال أبو علي الجبائي إن القول الذي هو هل من مزيد من قول
الخزنة كما يقال قالت البلدة الفلانية كذا وكذا أي قال أهلها
وكما قال تعالى وجاء ربك والملك صفاً صفاً وهذا أيضاً غير ممتنع

مسألة

فإن قيل ما معنى الخبر المروي عن النبي عليه السلام أنه قال إن الميت
ليعذب ببكاء الحي عليه وفي رواية أخرى إن الميت يعذب
في قبره بالنياحة عليه وروى المغيرة بن شعبة عنه عليه السلام
أنه قال من نيح عليه فإنه يعذب بما نيح عليه

الجواب

قلنا هذا الخبر منكر الظاهر لأنه يقتضي إضافة الظلم إلى الله تعالى
وقد نزهت أدلة العقول التي لا يدخلها الاحتمال والاتساع والمجاز
الله تعالى عن الظلم وكل قبيح وقد نزه الله تعالى نفسه بمحكم القول عن
ذلك فقال جل وعز ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا بد من صرف
ما ظاهره بخلاف هذه الأدلة إلى ما يطابقها إن أمكن أو يرده ويبطله
وقد روي عن ابن عباس رحمة الله عليه في هذا الخبر أنه قال وهل ابن
عمر إنما مر رسول الله صلى الله عليه وآله على يهودي فقال عليه السلام
إنهم ليبكون عليه وإنه ليعذب وقد روي إنكار هذا الخبر
عن عائشة أيضاً أنها قالت لما أخبرت بروايته وهل أبو عبد الرحمن
كما وهل يوم قليب بدر إنما قال عليه السلام إن أهل الميت ليبكون عليه
وإنه ليعذب بجرمه فهذا الخبر مردود مطعون عليه كما ترى ومعنى
قولهما وهل أي ذهب وهمه إلى غير الصواب يقال وهلت إلى
الشيء فأنا أهل وهلاً إذا ذهب وهمك إليه ووهلت عنه أهل
وهلاً إذا نسيته وغلطت فيه ووهل الرجل يوهل وهلاً إذا فزع

والوهل الفزع وموضع وهله في ذكر القليب انه روى ان النبي
عليه السلم وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم
حقا ثم قال عليه السلم انهم ليسمعون ما اقول فانكر ذلك عليه
وقيل انما قال عليه السلم انهم الان ليعلمون ان الذي كنت اقوله
هو الحق واستشهد بقوله تعالى انك لا تسمع الموتى ويمكن في
الخبر ان كان صحيحا وجوه من التاويل اولها انه ان وصى موص بان يناح
عليه ففعل ذلك بامره فانه يعذب بالنياحة وليس معنى
يعذب بها انه يواخذ بفعل النواح وانما معناه انه يواخذ بامره
بها وسنته بفعلها وانما قال النبي صلى الله عليه وآله ذلك لان الجاهلية
كانوا يرون البكا عليهم والنوح ويامرون به ويوكدون الوصية بفعله
وهذا مشهور عنهم قال طرفة بن العبد ه
فان مت فانعيني بما انا اهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد
وقال بشر بن ابي حازم ه

فمن يك سائلا عن بيت بشر فان له بجنب الرد بابا
ثوى في ملحد لا بد منه كفى بالموت نايا واغترابا
رهين بلى وكل فتى سيبلى فاذري الدمع وانتحبي انتحابا
وثانيها ان العرب كانوا يبكون موتاهم ويذكرون غاراتهم وقتل اعدايهم
وما كانوا يسلبونه من الاموال ويستحلونه من الاحوال فيعدون ما هو
معاصي في الحقيقة يعذب الميت بها وان كانوا يجعلون ذلك من
مفاخره ومناقبه فذكر عليه السلم انهم يبكونهم بما يعذبون به ه
وثالثها ان يكون المعنى ان الله تعالى اذا علم الميت بكا
اهله واعزته عليه يالم بذلك وكان عذابا له والعذاب ليس يجري
العقاب الذي لا يكون الا على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيرا بمعنى الالم
والضرر الا ترى ان القائل قد يقول لمن ابتداه بضرر والم قد عذبتني
بكذا وكذا والمتني كما يقول اضررت بي والمتني وانما يستعمل العقاب
حقيقة في الالام المبتداة من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة

التي لا بد من تقدم سبب لها وليس هذا في العذاب ورابعها ان يكون
اراد بالميت من حضره الموت ودنا منه فقد يسمى بذلك لقوة المقاربة
على سبيل المجاز فكانه عليه السلام اراد ان من حضرة الموت يتاذى
ببكاء اهله عنده وتضعف نفسه فيكون ذلك كالعذاب وكل
هذا بين بحمد الله ومنه

مسئلة

فان قيل فما معنى الخبر المروي عن عبد الله بن عمر انه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله يقول ان قلوب بني ادم كلها بين اصبعين من اصابع
الرحمن يصرفها كيف يشاء ثم يقول رسول الله صلى الله عليه وآله عند
ذلك اللهم مصرف القلوب اصرف قلوبنا الى طاعتك والخبر
الذي يرويه انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله ما من قلب
ادمي الا وهو بين اصبعين من اصابع الله فاذا شاء الله ان يثبته ثبته واذا
شاء ان يقلبه قلبه

الجواب

قلنا ان لمن تكلم في تاويل هذه الاخبار ولم يدفعها لمنافاتها الادلة العقول
ان يقول الاصبع في كلام العرب وان كانت الجارحة المخصوصة
فهي ايضا الاثر الحسن يقال لفلان على ابله وابله اصبع حسنة
اي قيام واثر حسن قال الراعي واسمه عبيد الله بن الحصين وعلى بابي جندل
يصف راعيا حسن القيام على ابله

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا

وقال لبيد

من يبسط الله عليه اصبعا بالخير والشر بأي اولعا
يملأ له منه ذنوبا مترعا

وقال اخر

اكرم نزارا واسقه المشعشعا فان فيه خصلات اربعا
جدا وجودا ونيلا واصبعا

فالاصبع في كل ما اوردناه المراد به الاثر الحسن والنعمة فيكون المعنى
ما من ادمي الا وقلبه بين نعمتين لله تعالى جليلتين فان قيل فما معنى تثنيته

النعمتين ونعم الله تعالى على عباده لا تحصى كثرة قلنا يحتمل ان يكون
الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الآخرة وثناهما لانهما كالجنسين او النوعين
وان كان كل قبيل منهما في نفسه ذا عدد كثير ويمكن ان يكون الوجه
في تسميتهم الاثر الحسن بالاصبع هو من حيث يشار اليه اعجابا به
وتنبيها عليه وهذه عادتهم في تسمية الشي بما يقع عنده وما له به
علقة وقد قال قوم ان الراعي اراد ان يقول يدا في موضع
اصبعا لان اليد النعمة فلم يمكنه فعدل عن اليد الى الاصبع لانها
من اليد وفي هذه الاخبار وجه اخر وهو اوضح من الوجه الاول
واشبه بمذهب العرب وتصرف ملاحن كلامها وهو ان يكون الغرض
في ذكر الاصابع الاخبار عن تيسير تصريف القلوب وتقليبها والفعل
بها عليه جل وعز ودخول ذلك تحت قدرته الا ترى انهم يقولون
هذا الشي في خنصري واصبعي وفي يدي وقبضتي كل ذلك اذا ارادوا
وصفه بالتيسر والتسهيل وارتفاع المشقة فيه والمؤنة وعلى هذا

المعنى تاول المحققون قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه فكانه صلى الله عليه وعلى آله لما اراد ان يبالغ
في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير مشقة ولا كلفة
قال انها بين اصابعه كناية عن هذا المعنى واختصارا للفظ الطويل فيه
وقد ذكر قوم في معنى الاصابع على تسليم انها المخلوقات من اللحم والدم
استظهارا في الحجة على المخالف **وجها اخر** وهو
انه لا ينكر ان يكون القلب يشتمل عليه جسمان على شكل الاصبعين
يحركه الله تعالى بهما ويقلبه بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما بالاصبعين
من حيث كانا على شكلهما والوجه في اضافتهما الى الله تعالى وان كانت
جميع افعاله تضاف اليه بمعنى الملك والقدرة انه لا يقدر على الفعل
بهما وتحريكهما منفردين عن آلة وغيرهما غيره تعالى فقيل انهما اصبعان
له من حيث اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه وهذا التاويل وان كان
دون ما تقدمه فالكلام يحتمله ولا بد من ذكر القوي والضعيف اذا كان

في الكلام له ادنى احتمال

مسألة

فان قيل فما معنى الخبر المروي عن النبي عليه السلم انه قال ان الله تعالى
خلق ادم عليه السلم على صورته او ليس ظاهر هذا الخبر يقتضي التشبيه
وان له تعالى عن ذلك صورة

الجواب

قلنا قد قيل في تأويل هذا الخبر ان الهاء في قوله صورته اذا صح هذا
الخبر راجعة الى ادم عليه السلم دون الله تعالى فكان المعنى انه
تعالى خلقه على الصورة التي قبض عليها وان حاله لم يتغير في الصورة بزيادة
ولا نقصان كما تتغير احوال البشر وذكر وجه ثان وهو ان تكون
الهاء راجعة الى الله تعالى ويكون المعنى خلقه على الصورة التي اختارها
واجتباها لان الشيء قد يضاف على هذا الوجه الى مختاره ومصطفيه
وذكر ايضا وجه ثالث وهو ان هذا
الكلام خرج على سبب معروف لان الزهري روى عن الحسن انه
كان يقول مر رسول الله صلى الله عليه واله برجل من الانصار وهو
يضرب وجه غلام له ويقول قبح الله وجهك ووجه من تشبهه فقال
النبي صلى الله عليه واله بئس ما قلت فان الله خلق ادم على صورته
يعني صورة المضروب ويمكن في الخبر وجه رابع وهو ان يكون المراد ان الله
تعالى خلق ادم عليه السلم وخلق صورته لينفي بذلك الشك في ان
تأليفه من فعل غيره لان التأليف من جنس مقدور البشر والجواهر
وما شاكلها من الاجناس المخصوصة من الاعراض هي التي ينفرد بالقديم
تعالى بالقدرة عليها فيمكن قبل النظر ان تكون الجواهر من فعله
والتأليف من فعل غيره الا ترى انا نرجع في العلم بان تأليف السماء من فعله
تعالى الى السمع لانه لا دلالة في العقل على ذلك ونرجع في ان تأليف
الانسان من فعله تعالى في الموضع الذي يستدل فيه على انه عالم
من حيث ظهر منه الفعل المحكم الى ان نجعل الكلام في اول البناء
خلقه تعالى لانه لا يمكن ان يكون مولفه سواه اذا كان هو اول الاحياء
من المخلوقات فكانه عليه السلم اخبر بهذه الفائدة الجليلة

ان جواهر آدم عليه السلم وتاليفه من فعل الله تعالى ويمكن وجه خامس وهو ان يكون المعنى ان الله تعالى انشأه على هذه الصورة التي شوهد عليها على سبيل الابتداء وانه لم ينتقل اليها ويتدرج كما جرت العادة في البشر وكل هذه الوجوه جائزة في معنى الخبر والله تعالى ورسوله عليه السلم اعلم بالمراد

مسألة

فان قيل فما معنى الخبر المروي عن النبي عليه السلم انه قال ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته وهذا خبر مشهور لا يمكن تضعيفه ونسبته الى الشذوذ

الجواب

قلنا اما هذا الخبر فمطعون عليه مقدوح في راويه لان راويه قيس بن ابي حازم وقد كان خولط في اخر عمره مع استمراره على رواية الاخبار وهذا قدح لا شبهة فيه لان كل خبر مروي عنه لا ان يكون مما سمع منه في حال الاختلال وهذه طريقة في قبول الاخبار وردها ينبغي ان يكون اصلا ومعتبرا فيمن علم منه الجرح ولم يعلم تاريخ ما نقل عنه على ان قيسا لو سلم من هذا القدح لكان مطعونا فيه من وجه اخر وهو ان قيس بن ابي حازم كان مشهورا بالنصب لامير المؤمنين عليه السلم والانحراف عنه وهو الذي قال رايت علي بن ابي طالب عليه السلم على منبر الكوفة يقول انفروا الى بقية الاحزاب فبغضته حتى اليوم في قلبي الى غير ذلك من تصريحه بالمناصبة والمعاداة وهذا قادح لا شك في عدالته على ان للخبر وجها صحيحا يجوز ان يكون محمولا عليه اذا صح لان الرؤية قد تكون بمعنى العلم وهذا ظاهر في اللغة ويدل عليه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد والم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل وقوله تعالى او لم ير الانسان انا خلقناه من نطفة قال الشاعر

رايت الله اذ سمى نزارا واسكنهم بمكة قاطنينا

فيجوز ان يكون معنى الخبر على هذا انكم تعلمون ربكم ضرورة كما تعلمون القمر من غير مشقة ولا كد ولا نظر وليس لاحد ان يقول ان الرؤية اذا كانت

معنى العلم تعدت الى مفعولين لا يجوز الاقتصار على احدهما على مذهب
اهل اللسان والرويه بالبصر تتعدى الى مفعول واحد فيجب ان تحمل
الخبر مع فقد المفعول الثانى على الرويه بالبصر وذلك ان العلم
عند اهل اللغه على ضربين علم يقين ومعرفه والضرب الاخر يكون
بمعنى الظن والحسبان فالذى بمعنى اليقين لا يتعدى الى اكثر من مفعول
واحد ولهذا يقولون علمت زيدا بمعنى عرفته وتيقنته ولا ياتون
بمفعول ثان واذا كان بمعنى الظن احتاج الى المفعول الثانى وقد
قيل ليس يمتنع ان يكون المفعول الثانى محذوفا لدليل الكلام عليه
وان لم يكن مصرحا به فان قيل يجب على تاويلكم هذا ان يساوى
اهل النار اهل الجنه فى هذا العلم الذى هو المعرفة الضروريه بالله
تعالى لان معارف جميع اهل الاخرة عندكم لا تكون الا اضطرارا
واذا ثبت ان الخبر بشارة للمومنين بطل تاويلكم قلنا البشارة فى
هذا الخبر خص المومنين على الحقيقه لان الخبر من التبشير من الاذى

من الاذى الى من نعيمه خالص صاف بعد بشارة وبمثل ذلك لا يبعد
بشارة فى من هو فى غاية المكروه ونهاية الالم والعذاب وايضا فان علم
اهل الجنه بالله تعالى ضرورة تزيد فى نعيمهم وسرورهم لانهم يعلمون انهم
بذلك انه تعالى يقصد لما يفعله بهم من النعيم التعظيم والتبجيل وانه يديم
ذلك ولا يقطعه واهل النار اذا علموه تعالى ضرورة علموا قصده
الى اهانتهم والاستخفاف بهم وادامه مكروههم وعذابهم فاختلف العلمان
فى باب البشارة وان اتفقا فى انهما ضروريان **مسئله**
فان قيل فما معنى الخبر الذى رواه ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه
واله انه قال احب الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا
الجواب قلنا فى تاويل هذا الخبر وجوه كل واحد منها
تخرج كلامه عليه السلم من حيز الشبهة اولها انه اراد نفى الملل عنه وانه
لا يمل ابدا فعلقه بما لا يقع على سبيل التبعيد كما قال عز وجل ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط وكما قال الشاعر

فانك سوف تحكم او تناهي اذ اما شبت او شاب الغراب

اراد انك لا تحكم ابدا ٥ فان قيل ومن اين لكم ان النفي يتعلقه به لا

يقع حتى حكمتم انه اراد نفي الملال على سبيل التابيد ٥ قلنا

معلوم ان الملال لا يشمل البشر في جميع امورهم واوطارهم وانهم

لا يعرون عن ضرور رغبة وامل وطمع فلهذا جاز ان يعلق ما علم فقدانه

انه لا يكون بما لا يكون ٥ **والوجه الثاني** ان يكون

المعنى انه تعالى لا يغضب عليكم ويطرحكم ويخليكم من فضله واحسانه

حتى تتركوا العمل له وتعرضوا عن سؤاله والرغبة في حاجاتكم الى جوده

فيسمي الفعلين ملالا وان لم يكونوا على الحقيقة كذلك على مذهب العرب

في تسميتها الشي باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه ٥

قال عدي بن زيد العبادي ٥

ثم اضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر يودي بالرجال

وقال عبيد بن الابرص الاسدي ٥

نال يا حجر ابن ام قطام اذ ظلت به السمر الذوابل تلعب

فنسب اللعب الى الدهر والقنا تشبيها ٥ وقال ذو الرمة ٥

وابيض موشي القميص نصبته على خصر مقلات سفيه جديلها

فسمي اضطراب زمامها سفها لان السفه في الاصل هو الطيش وسرعة

الاضطراب والحركة وانما وصف ناقته بالذكاء والنشاط ٥

الوجه الثالث ان يكون المعنى انه تعالى لا ينقطع

عنكم خيره ونائله حتى تملوا سؤاله فقعلهم ملال على الحقيقة وسمي فعله

تعالى ملالا وليس على الحقيقة كذلك للازدواج والتشاكل في الصورة

وان كان المعنى مختلفا ومثل هذا قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا

عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها ٥

ومثله قول الشاعر ٥

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وانما اراد المجازاة على الجهل لان العاقل لا يفخر بالجهل ولا يتبجح به ٥ واعلم

ان هذه الاخبار المضافه الى النبي عليه السلم مما ظاهره تشبيه الله
تعالى بخلقه او تجويز الله في حكمه او ابطال الاصل عقلي نظاير كثيره
وان كانت لا تجري في الشهره مجرى ما ذكرناه ومتى تقصينا الكلام
على جميع ذلك طال الكتاب جدا وخرج عن الغرض المقصود به
لانا شرطنا انا لا نتكلم ونتناول فيما يضاف الى الانبيا عليهم السلم
من المعاصي الا على اية من الكتاب او خبر معلوم مشهور يجري في شهرته
مجرى العلوم وفيما ذكرناه بلاغ وكفاية ونحن نبتدي بالكلام على ما يضاف
الى الائمه عليهم السلم مما يظن طاعون انه قبيح ونرتب ذلك كما رتبناه في
الانبيا عليهم السلم ومن الله تعالى نستمد حسن المعونة والتوفيق

امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلم

مسألة

فان قال قايل اذا كان من مذهبكم معشر القايلين بالنص ان النبي صلى الله عليه

غضب الله على المبطلين ضلوا و اضلوا عباد الله اتقوا الله الذي
خلقكم وجعلكم من خير المخلوقات و اورد دكم في خير الامم
ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتمسكم النار ولا تحاسدوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا صالحين ولا تميلوا الى النفثة
كل الميل فتنقلبوا خاسرين فعليكم بالصبر والحج فاينما تكونوا فالله معكم
انه بصير سميع وانه على كل شيء قدير والسلام على من اتبع الهدى

من مقالات الهادي
الى رضوان الله